العتبة العباسية المقدسة

سلسلة تراث العلماء (١)

علي الأكبر عليه السلام

تأليف
السيد عبد الرزاق المقرم

شعبة التراث الثقافي والديني
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
(١٥٦)

علي الأكبر

ابن الشهيد أبي عبد الله الحسين

بن علي عليهما السلام

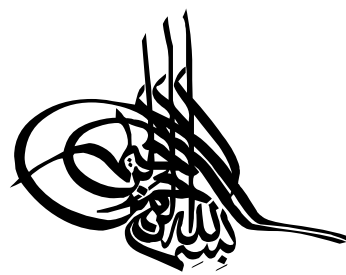

علي الأكبر

ابن الشهيد أبي عبد الله الحسين بن علي عليهم السلام

مع مقدمة

لسماحة العلامة فقيه العصر زعيم الشيعة آية الله العظمى

أبي المعالي السيد شهاب الدين الحُسيني المرعشي النّجفي

مَتَّعَ الله المسلمين بطول بقائه الشّريف

عبد الرزاق الموسوي المقرم

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي منّ علينا بوداد العترة الطاهرة وحبانا باتباع الذرية الفاخرة والصلاة والسلام على شرف الوجود وفخر نشأة الإمكان مقدام السفراء الإلهيين ودرّة تيجان الأنبياء والمرسلين مولانا ونبيّنا أبي القاسم محمّد بن عبد الله ﷺ وعلى أهل بيته الذين هم سفن النجاة في حوالك الظلم وغياهب البهم وهم رهط من تمسّك بذيلهم فقد نجا ومن تخلّف عنهم فقد هوى.

وَبَعد: لا يخفى على من ألقى السمع وهو شهيد جلالة الشريف ابن الشرفاء الكرام، نابغة الليالي والأيام، مجمع المحاسن النّسَبيّة والحسبيّة، جرثومة الفضل والحجى، أعجوبة عصره، وعزيز مصره، الشهم الذي عقمت أشكال الزمان أن تنتج بمثله مولانا أبي الحسن عليٍّ الأكبر، الشهيد في الطف ابن ريحانة رسول الله الأكرم

وفلذة كبده وسويداء قلبه الإمام الهمام سيدنا أبي عبد الله الحسين الشهيد روحي له ولمن جاهد بين يديه الفداء. ممّن أبدع الله قدرته في خَلقه وخُلقه ومنطقه وسائر مزاياه ومكارمه.

فمن ثَمَّ قام فطاحل العلم وروّاد الفضل على ساق الجدّ بتأليف زبر وأسفار في ترجمة حياته وخصاله السنيّة وأُلّفت وصنّفت رسائل وكتب في هذا الشأن.

وممّن وفقه المولى سبحانه في هذا الأمر الخطير العلوي النسيب والفاطمي الحسيب المخلص في ولاء آل الرسول، المتفاني في حبّهم، والمتهالك في مسيرهم العلّامة المعاصر حجة الإسلام والمسلمين «السّيد عبد الرّزاق المقرّم الموسوي النجفي» المتوفى سنة ١٣٩١ ق طاب ثراه وبرّد الله مضجعه ومثواه، حيث ألّف كتابه النفيس «علي الأكبر» في حياة هذا الشبل المكرم، يتيمة عقد الفتوة وجوهرة قلادة السّيادة.

ولعمري، قد أتى بما يؤمّل ويراد، وهو مجموع رائق، قليل المثيل والنظير في موضوعه، ومن فوائد هذا السفر الجليل أنه أثبت كون علي الأكبر شهيد الطف أكبر سناً من الإمام زين العابدين عليه السلام وهو الحق الحقيق بالقبول، كيف لا فقد صرّح فحل الفقهاء والنسّابين شيخنا الشيخ محمد بن إدريس العجلي الحلي في تعاليقه على مزار كتاب السرائر، قال ما محصله:

إنّ الأصح والأشهر بين علماء التاريخ والنسب كون علي الأكبر، أكبر سناً من الإمام سيد الساجدين عليه السلام، وإنّ كلامهم حجة إذ هم خبراء الفنّ.

ألا وجزاه ربّه الكريم عن هذه الخدمة الجليلة خير الجزاء، وأناله بالكأس الأوفى شربة لا ظمأ بعدها أبداً وحشره الله تحت راية جدّه أمير المؤمنين.

ومن المأسوف عليه قصر حياة هذا الرجل الخدوم فإنّه كان من حسنات العصر أفاد بيراعه وبنانه، ببيانه ولسانه إفادات هامّة مهمّة فكم له من آثار علمية، تهوي إليها الأفئدة.

والمرجوّ من طلاب الفضائل وعشاق التاريخ أن يعرفوا قدر رشحات قلمه السّيال ومكتبه الجوّال ويستفيد من بنات أفكاره.

وفي الختام، أسأله تعالى من كرمه أن يجزي ناشره «العالم الجليل الحاج الشيخ حسن المؤمن الحائري دام علاه» جزاء من أحسن عملاً آمين آمين، لا إرضاء بواحدة حتى يضاف إليها ألف آمين ويرحم الله عبداً قال آمين

أملاه العبد الكئيب من حوادث الدهر المتفتت كبده بمقاريض ألسنة الحسّاد، خادم علوم أهل البيت عليهم السلام...

شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي رزقه الله في الآخرة شفاعة أجداده الطاهرين وفي الدنيا زيارة مراقدهم، ضحوة يوم

الثلاثاء، لعشرين مضين من شهر شعبان سنة ١٢٠١ ق ببلدة قم المشرفة حرم الأئمة الأطهار وعش آل محمد.

صورة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾، ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾، ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾.

(القرآن الكريم)

مقدّمة المؤلّف

غير خافٍ أن الغاية التي وضع لها فن التاريخ حفظ سير الماضين وما أُثر عن السلف من فضائل وآداب وعادات تكون سنّة يستن بها الخلف وأثراً يقتفى في صالح الأعمال كما أن هناك ما لا يتفق مع صحيح الاعتبار وتأباه الفطرة السليمة ويتباعد عنه العقل الكامل مما يفت في عضد الاجتماع فيعتبر من استضاء بنور عقله ومشى وراء فطرته واتخذ تلك السنن اللاحبة طريقاً مهيعاً إلى غاياته الكريمة.

لكن الأهواء لعبت بعقول الرجال، والمطامع أخذت بهم إلى مهوى سحيق وإن العصبية العمياء حرجت على الإشادة بذكر المواد الجوهرية من تاريخ رجالات الأمة وقادة الإصلاح.

ومن تلك القضايا المهمة التي سترها التاريخ أخبار السيد الشهيد «علي الأكبر» من أدوار حياته المقدسة إلى حين شهادته يوم الطف وما تحلى به من فضائل وفواضل وما أُثر عنه من حكم وآداب.

كما زويت عنا أخبار أمه الخفرة فلم نعرف أن الإمام «شهيد العبرة» متى اقترن بها وكيف كان عهده بها إلى غير ذلك من سلسلة تأريخها وتأريخ ولدها كل هذا من جرائم التأريخ ومن بواعث الأهواء القاهرة لها والمبيحة لنشر أخبار القيان والمغنين.

نعم شعت من بين تلك السحب الكثيفة التي أثارتها زوابع الحقد والعداء لأهل البيت عليهم السلام كواكب من الفضائل والفواضل تضمنتها سماء العظمة فاهدينا منها إلى منزلة سامية لرجالات بيت النبوة ومنها ما يتعلق بتاريخ «الشهيد الأكبر» في اليقين والبصيرة والأخلاق الفاضلة والبلاغة والثبات عند ملاقاة الأقران مع نفس قدسية حوت جم المعارف وحميد الخصال.

وها نحن نثبت في هذه الرسالة ما ضاء لنا في ثنايا الجوامع وزبر الأولين فلمسناه جوهرة فردة وحقيقة راهنة وأخرجناه للقارئ تحت عناوين تمييزاً للبحث ومن الله سبحانه نستمد العون والتوفيق.

ليلى أُم الأكبر

هي بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي[١] وأمها ميمونة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية[٢] وجدتها بنت أبي العاص وعمة أبيها برزة بنت مسعود زوجة صفوان بن أمية أم ولده عبد الله الأكبر[٣] أخرجها صفوان معه يوم أحد[٤].

وما ذكرناه من اسمها نص عليه الشيخ المفيد في الإرشاد والطبرسي في إعلام الورى واختاره ابن جرير في التاريخ وابن الأثير في الكامل واليعقوبي في تاريخه والسهيلي في الروض الأُنف.

ويرتئي السبط في تذكرة الخواص وابن جرير في المنتخب من

---

(١) الإصابة: ج٣، ص٤١٢.
(٢) المصدر: ج٤، ص١٧٨.
(٣) المصدر: ج٤، ص٢٤٩.
(٤) شرح النهج الحديدي: ج٣، ص٣٥٩.

الذيل: ص ١٩، ملحق بجزء ١٢ والخوارزمي في المقتل أن اسمها (آمنة).

وانفرد ابن شهراشوب في المناقب فسماها (برة) وأنها ابنة عروة كانفراد السهيلي في الروض الأُنف: ج٢، ص٣٢٦، بأن ميمونة بنت أبي سفيان كانت جدتها من الأب وذلك أن عروة تزوج ميمونة فولدت له أبا مرة وبنت أبي مرة ليلى زوج الحسين.

ومن أجل اتصال ليلى بميمونة قيل لعلي الأكبر يوم الطف (إن لك رحماً بأمير المؤمنين يزيد) وأريد منه الجنوح إلى عسكر يزيد لكن نفسه القدسية أبت إلا النزوع إلى الشرف الخالد والحياة الأبدية فقال عليه السلام:

إن رحم رسول الله أحرى بأن يرعى من رحم ابن آكلة الأكباد[1].

كانت ليلى من بيت شرف ومنعة فإن جدها عروة أحد العظيمين اللذين قالت قريش فيهما: «لولا أُنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم». والقريتان مكة والطائف، والعظيم الآخر الوليد بن المغيرة المخزومي الملقب بالوحيد ولشرفه في قومه وكثرة أمواله لعدم انقطاع ملكه شتاءً وصيفاً كان يكسو

(١) سر السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري في النسب.

الكعبة وحده وكان يفرش له بإزاء الكعبة من ناحية داره بعد وفاة عبد المطلب كما كان يفرش لابن جدعان من ناحية داره ويفرش «لشيخ الأبطح» أبي طالب مكان أبيه عبد المطلب بإزائها.

والوليد هذا هو المراد من قوله تعالى:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا﴾.

وفي مسعود الثقفي تجتمع ليلى مع المختار بن أبي عبيد الثقفي فإنها بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود، والمختار بن أبي عبيد بن مسعود فأبو مرة والد ليلى والمختار ولدا عم[1].

ولشرف عروة في قومه أرسلته قريش يوم الحديبية لعقد الصلح مع رسول الله ﷺ وكان كافراً وأسلم سنة تسع من الهجرة ورجع إلى قومه يهديهم إلى الإسلام فصعد إلى علية له وأشرف منها عليهم وأظهر الإسلام ودعاهم إليه فرموه بالنبل وأصابه سهم فمات فقيل له ما ترى في دمك قال: كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله إلي ليس في إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ فادفنوني معهم، فلما مات دفنوه مع الشهداء وقال رسول الله ليس مثله في قومه إلا كمثل صاحب ياسين في قومه[2].

---

(١) الإصابة: ج٤، ص١٣٠.

(٢) الإصابة: ج٢، ص٤٧٨.

وكان عند عروة يوم أسلم عشر نسوة فعرَّفه النبي بأن الإسلام لا يبيح أكثر من أربع، فاختار أربعاً منهن زينب بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية[١].

ولد أبو مرة والد ليلى على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكانت له صحبة ولما قتل أبوه عروة خرج هو وأخوه أبو المليح إلى النبي وأعلماه بقتل أبيهما وأسلما ورجعا إلى الطائف مسلمين.

وفي ليلى يقول الحارث بن خالد المخزومي[٢]:

أطافت بنا شمس النهار ومن رأى
من الناس شمساً في المساء تطوف
أبو أمها أوفى قريش بذمة
وأعمامها إما سألت ثقيف

ولم يظهر لنا سنة وفاتها ولا مقدار عمرها ولا حضورها في مشهد الطف وإن نسبه «الدربندي» في أسرار الشهادة إلى بعض المؤلفات المجهول صاحبها مع أن المؤرخين أجمع أهملوا ذكرها ولعلها كانت متوفاة قبل الطف.

وقال الشيخ الجليل المحدث الشيخ عباس القمي في نفس

---

(١) الإصابة: ج٤، ص٣١٦.
(٢) المصدر: ج٤، ص١٧٨.

المهموم ص ١٦٧ : لم أظفر بشيء يدل على مجيء ليلى إلى كربلاء.

وناهيك بهذا المحدث الخبير المدقق فإن عدم عثوره على مجيئها إلى الطف فيه قناعة لمن يتطلب الوقوف على حقائق التاريخ.

ولادة الأكبر

ولد علي الأكبر في الحادي عشر من شهر شعبان[١] سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة قبل مقتل عثمان بسنتين[٢] وقد قتل سنة خمس وثلاثين وقول شيخنا الجليل ابن إدريس الحلي في مزار «السرائر» ولد في خلافة عثمان يتفق معه.

فيكون له يوم الطف ما يقارب سبعاً وعشرين سنة ويؤيده اتفاق المؤرخين وأرباب النسب على أنه أكبر من الإمام السجاد الذي له يوم الطف ثلاث وعشرون سنة. والتحديد بالسبع عشرة كما في منتخب الشيخ الطريحي أو الثماني عشرة كما في الإرشاد وإعلام الورى أو التسع عشرة كما في مناقب السروري، محكوم

---

(١) أنيس الشيعة للحجة السيد محمد عبد الحسين بن محمد عبد الهادي الجعفري الطياري الهندي الكربلائي ألفه باسم السلطان فتح علي شاه سنة ١٢٤١هجـ، قال الحجة الشيخ أغا بزرك في الذريعة: ج٢، ص٤٥٨، رأيت الكتاب في النجف عند السيد أغا التستري وهو بالفارسية.

(٢) الحدائق الوردية مخطوط.

لذلك الاتفاق مع خلوه عن الشاهد وكلمة ابن نما الحلي في «مثير الأحزان»: إن له يومئذ أكثر من عشر سنين وإن كانت مجملة إلا أنها تقال لمن هو فوق العشرة بنحو ثلاث سنين ونحوها وهذا شيء غريب!

وأغرب منه ما في «نقد المحصل» للخواجة نصير الدين الطوسي ص ١٧٩ ط مصر «إن له يوم الطف سبع سنين».

فإن القرائن دالة على منزلة له رفيعة عند أبيه الشهيد وتقدمه على من معه من أصحابه وأهل بيته عدى عمه العباس فإن المؤرخين اتفقوا على أن الحسين عليه السلام لما اجتمع ليلة عاشوراء بابن سعد أمر من كان معه بالتنحي عنه إلا أخوه العباس وابنه علي الأكبر وكان مع ابن سعد غلامه وابنه حفص.

ولما خطب عليه السلام يوم عاشوراء وسمع بكاء عياله قال لأخيه العباس وابنه عليٍّ الأكبر: سكِّتاهن فلعمري ليكثر بكاؤهن.

ولما أمر الحسين أصحابه يوم الثامن بالذهاب إلى المشرعة للاستقاء بعث معهم علياً الأكبر قائداً فإن هذا يشهد بأن للأكبر يومئذ أكثر من هذا السن كما أن رجزه عند الحملة يشهد به فهذا الرأي لا نعرف مأخذه.

نعم من المحتمل قريباً إسقاط «عشرة» بعد السبع فيكون له سبع عشرة وهذا أليق وإن لم يوافقه التاريخ المتقدم.

كنية الأكبر

جاء في زيارة علي الأكبر المروية عن أبي حمزة الثمالي أن الإمام الصادق عليه السلام قال له:

ضع خدك على القبر وقل: صلى الله عليك يا أبا الحسن ثلاثاً[1] وكما يحتمل أن تكون الكنية للتفأل بالولد الحسن، يحتمل أنها صدرت بعد أن كان له ولد سمي «الحسن» ورواية أحمد بن أبي نصر البزنطي تشهد بأنه كان متزوجاً من جارية له ولد منها فإنه قال للإمام الرضا عليه السلام: الرجل يتزوج المرأة وأم ولد أبيها؟

قال عليه السلام: لا بأس.

فقال أحمد: بلغنا أن علي بن الحسين ـ السجاد ـ تزوج بنت الحسن بن علي عليهما السلام وأم ولد أبيها.

---

(١) كامل الزيارة لابن قولويه: ص٢٤٠.

فقال عليه السلام: ليس هكذا إنما تزوج ابنة الحسن عليه السلام وأم ولد لعلي بن الحسين المقتول عندكم[١].

ومن المعلوم أن الجارية لا يقال لها أم ولد إلا إذا ولدت من سيدها فهذا الحديث شاهد صريح على أن عليّاً الأكبر كانت عنده جارية قد أولدها.

على أن الاستضاءة من قول الإمام الصادق في تلك الزيارة التي علَّمها أبا حمزة تلمسنا جوهرة فردة وحقيقة ناصعة أضاعتها الحقب وعبثت بها أيدي الخائنين وذلك أن للأكبر الشهيد أهلاً وولداً وإن كان عقبه منقطع الآخر فإن الإمام الصادق يقول فيها:

صلى الله عليك وعلى عترتك وأهل بيتك وآبائك وأبنائك وأمهاتك الأخيار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

ولفظ الأبناء جمع يدل على أكثر من اثنين وكما يحتمل إرادة الصلبيين خاصة يحتمل أن يراد ما يعمهم وأبناءهم لكن الاحتمال الثاني مدفوع بظاهر إطلاق اللفظ عند العرف فإنه يختص بالصلبيين.

كما أن قوله عليه السلام: «وعلى عترتك» دال عليه فإن عترة الرجل ذريته فلو لم يكن له ذرية لما صح استعمال هذا اللفظ وورود هذه

---

(١) الكافي بهامش مرآة العقول: ج٤، ص٤٦٥.

الجملة في لسان الإمام العارف بخواص البلاغة ومقتضيات الأحوال أقوى برهان.

وغير خافٍ أن هذه الرواية رواها الشيخ الجليل ابن قولويه في (كامل الزيارة) بسند صحيح ورجال ثقات منهم علي بن مهزيار وهو من أوثق وكلاء أبي جعفر الجواد عليه السلام كما دل عليه قوله في كتابه إليه: (لقد خبرتك وبلوتك في الطاعة والخدمة فلو قلت إني لم أرَ مثلك رجوت أن أكون صادقاً).

وفيهم ابن أبي عمير الثقة الثبت وهو الذي ضربه السندي بن شاهك على التشيع بأمر الرشيد مائة وعشرين سوطاً ثم حبس ولم يطلق إلا بعد أن دفع مائة وعشرين ديناراً.

لقب الأكبر

لقّب السيد الشهيد (بالأكبر) لكونه أكبر من الإمام زين العابدين وقد صرح بذلك السجاد عليه السلام حين قال له ابن زياد: أليس قتل الله علياً؟ فقال الإمام: كان أخ أكبر مني يسمى علياً فقتلتموه[1].

ولقد وصف السجاد بالأصغر والشهيد بالأكبر جماعة من المؤرخين منهم:

١ ـ ابن جرير الطبري في تاريخ الأمم والملوك: ج ٦، ص٢٦٠، فإن فيه: قال حميد بن مسلم انتهيت إلى علي بن الحسين الأصغر وهو مريض الخ.

وقال في المنتخب من الذيل الملحق بجزء ١٢ من التاريخ ص ١٩: ولد الحسين علياً الأكبر ولا عقب له وعلياً الأصغر

(١) الطبري في المنتخب من الذيل: ملحق بجزء ١٢، ص٨٩، وابن كثير في البداية: ج٩، ص١٠٣، والدميري في حياة الحيوان بمادة البغل.

أمه أم ولد. وفيه ص ٨٨: قتل علي بن الحسين الأكبر مع أبيه بنهر كربلاء وليس له عقب وشهد علي الأصغر مع أبيه كربلاء وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وكان مريضاً نائماً على الفراش.

٢ ـ ابن قتيبة في المعارف ص ٩٣: ولد الحسين علياً الأكبر أمه بنت أبي مرة وعلياً الأصغر أمه أم ولد وفي ص ٩٤، قال: وأما علي بن الحسين الأصغر فليس له عقب إلا منه.

٣ ـ الدينوري في الأخبار الطوال ص ٢٥٤: تقدم علي بن الحسين الأكبر وفي ص ٢٥٦ قال: لم ينجُ من أصحاب الحسين وولده وولد أخيه إلا ابنه علي الأصغر وكان مراهقاً.

٤ ـ اليعقوبي في التاريخ ج٢، ص٩٤، ط النجف: وأما علي بن الحسين الأصغر فليس للحسين عقب إلا منه.

٥ ـ القرماني في التاريخ ص ١٠٨: همَّ الشمر بقتل علي بن الحسين الأصغر وهو مريض.

٦ ـ الدميري في حياة الحيوان بمادة البغل أن علي بن الحسين الأصغر يلقب زين العابدين وكان له أخ أكبر منه يسمى علياً قتل مع أبيه بكربلاء.

٧ ـ السهيلي في الروض الأُنف ج٢، ص ٣٢٦: قتل معه بالطف علي الأكبر وأما علي الأصغر لم يقتل معه أمه أم ولد

اسمها سلافة بنت كسرى يزدجرد.

٨ ـ الشعراني في لواقح الأنوار ج١، ص٢٣: كان للحسين من الأولاد علي الأكبر وعلي الأصغر وله العقب.

٩ ـ سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص١٥٦: علي الأكبر قتل مع أبيه وعلي الأصغر وهو زين العابدين والنسل له.

١٠ ـ ابن كثير في البداية والنهاية ج ٩، ص ١٠٣: اشتهر علي بن الحسين بزين العابدين وكان له أخ أكبر منه يقال له علي أيضاً قتل مع أبيه.

١١ ـ الديار بكري في تاريخ الخميس ج ٢، ص ٣١٩: كان زين العابدين ابن ثلاث وعشرين سنة وهو علي الأصغر وأما علي الأكبر فإنه قتل مع أبيه.

١٢ ـ ابن خلكان في وفيات الأعيان بترجمة السجاد ج١، ص ٣٤٧، ط إيران: يقال لزين العابدين علي الأصغر وليس للحسين عقب إلا منه.

١٣ ـ الصبان في إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص ١٩٤: إن من أولاد الحسين علياً الأكبر وعلياً الأصغر له العقب.

١٤ ـ الحافظ الثبت علي بن محمد بن علي الخزاز الرازي القمي في كفاية الأثر ص ٣١٨، من النسخة الملحقة بأربعين المجلسي والخرائج للراوندي في باب ما جاء عن الحسين من النص وفيه أن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال كنت عند الحسين إذ دخل عليه علي بن الحسين الأصغر فدعاه الحسين وقبّل ما بين عينيه ثم نص بالإمامة عليه وعلى الباقر عليه السلام.

١٥ ـ في مجالس الصدوق ص ٩٣، مجلس ٣٠: عن الصادق عليه السلام أن الحسين جاء إلى كربلاء بأولاده علي الأكبر وعلي الأصغر.

١٦ ـ الشبلنجي في نور الأبصار ص ١٩٤، أن من أولاد الحسين علياً الأكبر استشهد مع أبيه وعليّاً الأصغر زين العابدين.

١٧ ـ الشيخ فخر الدين الطريحي في المنتخب ص ٢٠، ط الهند، وصف السجاد بالأصغر والمقتول بالأكبر.

هذا ما عليه المؤرخون من وصف السجاد بالأصغر وهناك جماعة استوضحوا كبر المقتول مع أبيه واكتفوا بتوصيفه بالأكبر وسكتوا عن وصف زين العابدين بالأصغر منهم:

١٨ ـ ابن الأثير في الكامل ج ٤، ص ٣٠، قال: أول من قتل من آل أبي طالب علي الأكبر وأمه ليلى.

١٩ ـ المسعودي في مروج الذهب ج ٢، ص ٩١، والتنبيه والإشراف ص ٢٦٣: قتل مع الحسين ابنه علي الأكبر.

٢٠ ـ ابن الصباغ في الفصول المهمة ص ٢٠٩، ط إيران: قتل مع الحسين علي الأكبر.

٢١ ـ ابن العماد في شذرات الذهب، ج١، ص ٦٦: قتل مع الحسين ولداه علي الأكبر وعبد الله.

٢٢ ـ المحب الطبري في ذخائر العقبى ص ١٥١: استشهد علي الأكبر مع أبيه.

٢٣ ـ الوطواط في غرر الخصائص ص ٢٢٩، في باب ١١، الفصل الثاني: أول من قتل علي الأكبر.

٢٤ ـ الشبراوي في الإتحاف بحب الأشراف ص ٤٧، أن علياً الأكبر قتل مع أبيه بكربلاء.

٢٥ ـ شيخنا الشهيد الأول من أعيان علمائنا الإمامية في مزار الدروس قال: ثم زر علي بن الحسين وهو الأكبر على الأصح.

٢٦ ـ سيد العلماء ميرزا أبو القاسم الطهراني في شرح زيارة عاشوراء ص ٣٥٤، ط بمبي قال: الأصح عند المؤرخين أن المقتول في الطف هو الأكبر.

٢٧ ـ ابن إدريس الحلي في مزار «السرائر» بعد أن اختار أن المقتول هو الأكبر قال: على هذا علماء التاريخ والنسب منهم البلاذري والنسابة العمري وابن أبي الأزهر في الفاخر وأبو علي ابن همام في الأنوار إلى غيرهم.

٢٨ ـ الشيخ الجليل العلامة ميرزا محمد علي الأوردبادي حكاه عن النفحة العنبرية في النسب ومفتاح النجا في مناقب آل العبا للحارثي البدخشي وتذكرة الأئمة للمولى محمد باقر اللاهيجي وجماعة أُخر.

وقد انفرد عن هؤلاء الجمع الكثير شيخنا المفيد في الإرشاد والطبرسي في إعلام الورى فذهبا إلى أن المقتول هو الأصغر وأما الأكبر فأمه شاه زنان بنت كسرى يزدجرد.

ولعدم الشاهد عليه وإعراض أهل الفن عنه وهم أعلم بفنهم وأبصر كان الأرجح كون المقتول بالطف هو الأكبر.

وأما ما نص عليه ابن شهراشوب في المناقب وابن طلحة الشافعي في مطالب السؤول ص ٧٣، وابن الصباغ في الفصول المهمة من أن زين العابدين هو الأوسط فيكون للحسين من الأولاد ثلاثة يقال لهم علي...

فليس فيه مخالفة لما ذكرناه من الاتفاق على كون المقتول هو الأكبر وأن السجاد أصغر منه فإن غاية ما عندهم أن زين

العابدين أوسط أولاد الحسين ويتفق مع القول بأنه أصغر من الشهيد بالطف.

لكن إعراض الكثير عن ذكر هؤلاء الأولاد الثلاثة للحسين يبعد هذا الرأي وإن صححه الإربلي في كشف الغمة فإن الثابت عند أهل النسب والسيرة أن للحسين علياً الأكبر وعلياً الأصغر وهو السجاد وعبد الله الرضيع وجعفر درج في أيام أبيه كما لم يثبت صحيحاً من البنات غير فاطمة وسكينة وأما فاطمة العليلة فحكى المجلسي في البحار ج ١٠، القول به عن بعض مؤلفات أصحابنا ولجهالة المؤلف وعدم تعرض أهل النسب والتراجم والمؤرخين لها كان للتوقف مجال واسع.

ملحوظة

تقدم في صدر العنوان أن الإمام السجاد عليه السلام قال لابن زياد: كان لي أخ أكبر مني فقتلتموه.

فقال ابن زياد: بل الله قتله. قال الإمام: الله يتوفى الأنفس حين موتها.

وغير خافٍ أن هذه المحاورة كانت بعد أن أمر ابن زياد بإدخال حرم النبوة عليه وقد أذن للناس أُذناً عاماً فأُدخلت مخدرات الإمامة...

مغلولة الأيدي إلى الأعناق تسبى على عجف من النياق
حاسرة الوجه بغير برقع لا ستر غير ساعد وأذرع
قد تركت عزيزها على الثرى وخلفته في الهجير والعرى
إن نظرت لها العيون ولولت أو نظرت إلى الرؤوس أعولت
تود أن جسمها مقبور ولا يراها الشامت الكفور[1]

(١) المقبولة الحسينية: ص٦٣، لحجة الإسلام الشيخ هادي آل الشيخ الأكبر=

وأما عقيلة آل محمد (زينب الكبرى) فدخلت متنكرة وقد انحازت عن النساء واحتف بها إماؤها لكن جلال النبوة المنسدل عليها وأُبهة الإمامة استلفت نظرة ابن زياد فقال: من هذه المتنكرة المنحازة عن النساء؟ فقيل له ابنة أمير المؤمنين عليه السلام فأراد أن يحرق قلبها بأكثر مما جاء إليهم فقال:

الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم.

لكن ابنة «حيدرة» لم يثنها عن مجابهته والرد عليه كل ما شاهدته من الفظائع التي يشيب لها فود الطفل وتزلزل الجبال الرواسي فإنها تركت أولئك الأطايب من آل عبد المطلب على وجه الصعيد بلا غسل ولا كفن وهي أشلاء مبضعة وأعضاء مقطعة تسفي عليهم الريح بوغاء الثرى وبينهم سيد شباب أهل الجنة.

= كاشف الغطاء وسمعت منه أعلى الله مقامه أنه لما كان ينقل إلى البياض ما يكتبه في المسودة فلما وصل إلى قوله:

«تود أن جسمها مقبور» شاهد بعده:

وهي بأستار من الأنوار تحجبها عن أعين النظار

فتعجب منه حيث لم ينظمه وزاد في تعجبه أنه لما نقله إلى البياض وعاد إلى المسودة فلم ير البيت مثبتاً في المسودة فعلم أنه شيء غيبي لا ينكره أهل الإيمان ولا غرابة من الحجة المنتظر عجل الله فرجه إذا كتب هذا، وأشار ناشر المقبولة إلى هذه القصة بكلمته التي ألحقها بالمقبولة.

غسلته دماؤه قلبته أرجل الخيل كفنته الرمول

وقد اكتنفت بها نسوة في الأسر بين شاكية وباكية وطفل كظّه العطش إلى أُخرى أقلقها الوجل وأنين المريض يفطر الصخر الأصم لبهر السير وثقل الحديد والجامعة وأمامها رأس شمس الإمامة وعلة الكائنات ومن حوله الأقمار النيرة.

والواحدة من هذه كافية في أن تفت الكبد وتهد القوى وتذهل الأسد الخادر إلا أن ابنة أمير المؤمنين ذلك المردي ابن عبد ود والمزهق مرحباً وقالع باب خيبر كانت على جانب عظيم من اليقين والطمأنينة مع بصيرة هي أنفذ البصائر.

ولا بدع في ذلك بعد أن شاركت الإمامين سيدي شباب أهل الجنة في ذلك المرتكض الطاهر والحجر الزاكي والصلب القادس واللبان السائغ والعصمة الإلهية والتربية العلوية.

وحسبها من الخطر أن ما انحنت عليه أضالعها هو ذلك العلم المفاض عليها من ساحة القدس الإلهي لا بإرشاد معلم أو تلقين مرشد كما يقول الإمام السجاد عليه السلام لها على ما في احتجاج الطبرسي ص ١٦٦:

إنك يا عمة بحمد الله عالمة غير معلمة وفهمة غير مفهمة.

وإن حديث الرواة لما وقفت على جسد أخيها وقالت:

اللهم تقبل منا هذا القربان...

يدلنا على تبوئها عرش الجلالة وأنها كأخيها الحسين أخذ عليها الميثاق بتلك النهضة المقدسة وإن كان التفاوت محفوظاً بينهما فإنه لما خرج أحدهما عن العهدة بإزهاق نفسه المطهرة قام الآخر بما كان واجباً عليه ومنه تقديم «الذبيح» إلى ساحة الجلال الربوبي والتعريف به ثم طفقت سلام الله عليها ناهضة ببقية الشؤون التي وجبت عليها ولا استبعاد فيه بعد وحدة النور وتفرد العنصر.

وههنا أفرغت عن لسان أبيها بكلام أنفذ من السهم وأحدّ من شبا السيوف وألقمت ابن مرجانة حجراً إذ قالت له في ذلك الحوار:

هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج ثكلتك أمك يابن مرجانة.

وأوضحت للملأ المتغافل خبثه ولؤمه وأنه لن يرحض عنه عارها وشنارها كما أنها أدهشت العقول وحيرت الفكر في خطبتها بكناسة الكوفة بعد أن أومأت بيدها إلى ذلك الجمع فسكتوا حتى كأن على رؤوسهم الطير وليس في وسع العدد الكثير أن يسكن ذلك اللغط ويردّ تلك الضوضاء لولا الهيبة الإلهية والبهاء المحمدي الذي جلل «عقيلة الهاشميين».

وعندها اندفعت ابنة أمير المؤمنين عليه السلام بخطابها الجزل مع طمأنينة نفس وثبات جأش وشجاعة إن شئت فسمّها بالأدبية وإلا فهي فوق ذلك وأصبحت في ذلك المحتشد الرهيب أو فقل بين الناب والمخلب تمام الفضيحة للأمويين بما نشرته من صحيفتهم السوداء والناس يومئذ حيارى يبكون لا يدرون ما يصنعون وأنى يرحض عنهم العار بقتلهم سليل النبوة ومعدن الرسالة وسيد شباب أهل الجنة وقد خاب السعي وتبت الأيدي وخسرت الصفقة وباؤا بغضب من الله وخزي في الآخرة ولعذاب الله أكبر لو كانوا يعلمون.

وللنفسية التي حوتها والثبات الذي انطوت عليه أضالعها ولياقتها لتلقي الأسرار الإلهية كما هي وأدائها في مورد الأداء كما يجب تحملت شطراً مما يحمله الإمام الحجة بعد حادثة الطف فكان يرجع إليها في معرفة الأحكام الشرعية حفظاً للسجاد من عادية الأعداء.

يقول أحمد بن إبراهيم سألت حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام عمن تأتم به من الأئمة فسمتهم ثم ذكرت الحجة بن الحسن وسمته فسألتها عنه قالت: إنه مستور فقلت: إلى من تفزع الشيعة قالت: إلى جدته أم أبي محمد الحسن العسكري فقلت لها تأمريني أن أقتدي بمن وصيته إلى امرأة قالت: قالت اقتداءً بالحسين بن علي عليه السلام فإنه أوصى إلى أخته زينب في الظاهر فكان

ما يخرج من علي بن الحسين من علم ينسب إليها ستراً على علي ابن الحسين عليه السلام[١].

ويمكننا الاستفادة من هذه الرواية أنها رجعت صلوات الله عليها إلى المدينة وبقيت مدة حتى يتحقق مفاد هذا الحديث بأنها كانت مرجعاً للشيعة في الأحكام.

ولهذه النكتة الدقيقة جاء بها شهيد العز والدين إلى العراق لعلمه أن الغاية التي يضحي نفسه لأجلها ستذهب أدراج السلطة الغاشمة وتبقى الحقيقة مستورة لو لم يتعقبها لسان ذرب وأن كل أحد لا يستطيع في ذلك الموقف الذي تحفه سيوف الظلم أن يتكلم بالحقيقة مهما بلغ من المنعة في عشيرته إلا العقيلة فإنها التي تعلن بموبقات ابن مرجانة وابن معاوية وإن ما جرى على ابن عفيف الأزدي حين رد عليه شاهد له فإن عشيرته الأزد وإن أخرجوه من المسجد لما أمر بقتله ابن زياد لكنه بعد ذلك بعث إلى داره من قتله بمرأى من عشيرته ومسمع.

والمرأة وإن وضع الله عنها الجهاد ومكافحة الأعداء وأمرها أن تقر في بيتها فذلك فيما إذا قام بتلك المكافحة ودافع عن قدس الشريعة غيرها من الرجال وأما إذا توقفت إقامة الدين ونصرة الحق عليها فقط كان الواجب النهوض بعبء ذلك كله

---

(١) إكمال الدين للصدوق: ص٢٧٥، والغيبة للشيخ الطوسي: ص١٤٨.

كيلا تندرس آثار الشريعة وتذهب تضحية أولئك الأطهار دونه أدراج التمويهات.

ولذلك نهضت سيدة نساء العالمين الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام للدفاع عن خلافة الله الكبرى حين أُخذ العهد على سيّد الأوصياء بالسكوت فخطبت تلك الخطبة البليغة في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في محتشد من المهاجرين والأنصار.

على أن سيد الشهداء كان على يقين بإخبار جده الرسول بأن القوم وإن بلغوا غاية الخسة وتناهوا في الخروج عن سبيل الحمية لا يمدون إلى النساء يد السوء وقد أنبأ سلام الله عليه عن ذلك بقوله لهن ساعة الوداع الأخير:

البسوا أُزركم واستعدوا للبلاء واعلموا أن الله حاميكم وحافظكم وسينجيكم من شر الأعداء ويجعل عاقبة أمركم إلى خير ويعذب عدوكم بأنواع العذاب ويعوضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم[1].

هذا كله لو لم نقل بالإمامة لسيد الشهداء وأما مع الخضوع لناموس علم الإمام الشامل لما كان ويكون وسيره حسب

(١) جلاء العيون للمجلسي(ره).

المصالح الواقعية وعصمته في أقواله وأفعاله كما هو الحق الذي لا محيص عنه كان المحتم علينا الإذعان بأن ما صدر منه ناشئ عن حكم ربانية ومصالح إلهية لا يتطرق إليها الشك وليس الواجب علينا إلا التصديق بجميع أفعاله من دون أن يلزمنا العقل بمعرفة المصالح الباعثة على تلك الأفعال الصادرة منه وهكذا الحال في كل ما وجب على المكلفين فإنه لم يجب على العباد إلا التسليم والخضوع للمولى من دون أن يعرفوا الأغراض الباعثة عليها وهو الحال في العبيد مع مواليهم فإن العقل لا يلزم العبد بأكثر من طاعة سيده ومولاه حينما يأمره وينهاه.

فتشاطرت هي والحسين بدعوة
حتم القضاء عليهما أن يندبا
هذا بمشتبك النصول وهذه
في حيث معترك المكاره في السبا[1]

(١) من قصيدة في زينب للعلامة الحجة الشيخ ميرزا محمد علي الأوردبادي.

صفات الأكبر

تمهيد

إن من القضايا التي قياساتها معها ارتباط مكارم الأخلاق في توطيد أسس الحضارة وإقامة صرح المدنية وبها يتمكن من الحصول على التؤدة وجمام الأنفس والأمن العام والمهابة في النفوس ضد ما في الصرامة وشراسة النفس من موجبات النزاع وبواعث الملاشاة وذهاب المنّة وضؤولة القوى فأي أُمة شاء الله سبحانه لها البوار والهلكة علقت بنفوسها الدعارة حتى أُلقي بأسها بينها وتدهورت إلى هوة الضعة والهوان وفشل الجامعة.

كانت الحرب على العهد الجاهلي تعمل على هذه الشاكلة فلم تبرح الحروب الطاحنة تبيد رجالها ووأد البنات يذهب بالإناث والعادات الهمجية تلعب بعقولها حتى هبت عليهم نسائم اللطف الإلهي «بالنبي محمد» ﷺ لإزاحة تلك الأشواك المتكدسة أمام السير البشري المبيدة لكيانهم فجاء ﷺ حاملاً للصفات الحميدة متحلياً بالملكات الفاضلة قاصداً تحلية النفوس بمكارم أخلاقه فقال:

إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق[١].

لا يريد منهم جزاءً ولا شكوراً يريد أن يجعل حياتهم حياة خالدة لا تبيدها الحقب والأعوام يريد أن يكونوا ذوي نفوس مطمئنة عارفة رشدها من غيّها فأفاض عليهم من أخلاقه الكاملة وصفاته الكريمة ما فيه بقاء نسلهم وتكثير عددهم وأن لا تدرن عفّ مآزرهم بأي وصمة ينبزون بها كيلا يدنس شرفهم بالخرافات فلا تغمز لهم قناة ولا تقرع صفاة.

وها نحن نذكر من تلك الخصال الحميدة شيئاً يسيراً لنستفيد منها دروساً ضافية في تهذيب النفوس وتحليتها بالملكات الجميلة.

---

(١) فيض القدير: ج٢، ص٥٧٢.

الحلم

كان النبي ﷺ عند الأذى وإسراف الجاهل فيه ذلك الحليم الصابر اللين الجانب يغضي عن البطش مع القدرة حتى قيل له يوم أُحد لما كسرت رباعيته وشجَّ وجهه:

لو دعوت عليهم لأبادهم الله.

فانتهر القائل وقال:

حوشيت أن أكون لعّاناً، لم يبعثني ربي إلا داعياً ورحمة.

ثم رفع يديه يقول:

اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون أني نبي[1].

فجمعت كلمته هذه مراتب الفضل والإحسان حيث لم يقتصر في العفو عنهم بالسكوت حتى دعا لهم بالهداية والتوفيق ثم اعتذر عنهم بالجهل.

---

(١) ابن دحلان في السيرة النبوية بهامش السيرة الحلبية: ج٣، ص٢٦٧.

ولما تمكن يوم الفتح من قريش جمعهم وهم لا يشكّون في استئصال شأفتهم فقال: ما تظنون أني فاعل بكم؟

قالوا: خيراً إنك أخ كريم وابن أخ كريم.

فقال لهم: أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء[١].

ووقف عليه في بعض مغازيه غورث بن الحارث وبيده السيف فقال ما يمنعك مني يا محمد؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: الله العظيم.

فسقط السيف من يده وتناوله النبي وقال له: ما يمنعك مني الآن قال: العفو عند المقدرة فخلى سبيله وذهب الرجل إلى أصحابه يقول: جئتكم من عند أحلم الناس[٢].

وفي يوم خيبر لما قسم الغنائم قال له بعض أصحابه اعدل يا محمد فقال: ويحك لقد خسرت الصفقة إن لم أكن عادلاً وأراد بعض الصحابة قتله فنهاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: معاذ الله أن يتحدث الناس بأني أقتل أصحابي إني أحب أن أكون سليم الصدر[٣].

---

(١) السيرة النبوية بهامش السيرة الحلبية: ج٣، ص٢٧٣.

(٢) مسند أحمد من حديث جابر.

(٣) إحياء العلوم: ج٢، ص٣٣٦.

وكان سعنة من أحبار اليهود أقرض رسول الله وجاء يتقاضاه قبل الأجل وأغلظ في كلامه فأراد من حضر قتله فقال: إنه لم يحلّ الأجل ولكن أعطوه دينه وزيدوه عشرين صاعاً لما روعتموه فلما رأى اليهودي هذا من النبي أسلم ولازمه إلى أن استشهد في غزوة تبوك[1].

(١) الروض الأُنف: ج١، ص١٤٢.

التواضع

وكانﷺ أشد الناس تواضعاً حتى خيِّر بين أن يكون عبداً رسولاً متواضعاً أو ملكاً رسولاً ولا ينقصه مما عند ربه تعالى شيئاً فاختار أن يكون عبداً متواضعاً وكان يكره القيام له إذا خرج إلى أصحابه ويقول إنه من فعل الأعاجم.

وإذا دخل الندي جلس من حيث يدخل ويجلس على الأرض ويأكل عليها ويقول: إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس ولو دعيت إلى كراع لأجبت ويتفقد أصحابه ويعطي جلساءه نصيبهم ويجلس مختلطاً بهم حتى كأنه أحدهم دخل عليه رجل فأُرعد من هيبته وبهائه فقالﷺ له:

هوّن عليك إني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش[1].

وأنت تعرف ما في كلمته الثمينة «أنا ابن امرأة» من التخفيض لمقامه العالي ليسكن حال الرجل ولو قال له أنا ابن عبد المطلب

---

(١) إحياء العلوم للغزالي: ج٢، ص٣٣٨.

لكبر في عينه مقام النبوة أكثر فيزداد اضطرابه وهو خلاف المقصود له.

الكرم

ويكفيناً شاهداً على نائله الغمر وجوده المتدفق ما يؤثر عنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«أنا أديب الله وعلي أديبي أمرني ربي بالسخاء والبر ونهاني عن البخل والجفاء وما شيء أبغض إلى الله من البخل وسوء الخلق».

وفي حديث أمير المؤمنين عليه السلام:

كان النبي أجود الناس كفاً وأكرمهم عشيرة وأصدقهم لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة من رآه هابه ومن خالطه بدون معرفة أحبه وما سئل عن شيء إلا أعطاه.

أعطى رجلاً من الغنم ما سد بين جبلين فرجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام وعرَّفهم بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعطي ما لا يخشى الفاقة بعده.

ولما قفل من حنين راجعاً جاءت الأعراب يسألونه حتى

اضطروه إلى شجرة فخطفت رداؤه فوقف صلى الله عليه وآله وسلم بغير رداء وقال: أعطوني ردائي والله لو كان لي عدد هذه العضاه نعماً لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً[١].

(١) إحياء العلوم: ج٢، ص٣٣٧.

الشجاعة

أما الشجاعة والنجدة فكان بالمحل الذي لا يجهل عند مشتبك النصول ومستن النزال فهو أشد الناس بأساً وأمضاهم عزيمة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

كان المسلمون يوم بدر يلوذون بالنبي كلما اشتدت الحرب وهو أمامهم وفي يوم أُحد لما كانت الدبرة على المسلمين قاتل صلى الله عليه وآله وسلم بما لم يسمع بمثله حتى كسرت رباعيته وأُدميت شفته، وفي يوم حنين حين حمي الوطيس واشتد القراع وتداخلهم الرعب وفروا بأجمعهم كأنهم حمر مستنفرة ورسول الله ثابت لا يفر مقبل غير مدبر راكب بغلته الشهباء وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب آخذ بلجام البغلة والنبي يقول:

أنا النبي لا كذب
أنا ابن عبد المطلب

فما هاب جمعاً ولا أوهنته هزيمة أصحابه وجال في الميدان جولة الأسد الغضبان ومعه علي بن أبي طالب عليه السلام حتى التحق بهما المسلمون وكان الفتح لنبي الله الظافر.

البلاغة

ولم يجارِه أحد في البلاغة والإتيان على مقتضى الحال وهو القائل: أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش واسترضعت في بني سعد.

نطق بهذه الكلمة الجامعة على حين أن مراجل الأحقاد تغلي عليه وتتربص به أعداؤه الفرص لنقض قوله ومجابهة هتافه فلم يجد أي أحد عليه نقصاً في كلمة شاذة لهج بها أو جملة ركيكة جاء بها كما أخذوا على غيره كمسيلمة وأمثاله فلم يسع العرب يومئذ إلا الخضوع له والحكم بأن ما صدر من إنشائه مثل «الذكر الحكيم» مع حفظ التفاوت الواضح بين كلام الخالق والمخلوق والدواعي متوفرة لنقل ذلك لو كان.

فهوﷺ أفصح من نطق بالضاد كما وصف نفسه المقدسة وأبلغهم مطابقة لمقتضيات الأحوال.

وأما قولهﷺ: «بيد أني من قريش» فقد جرى فيه على عادة

العرب من الإتيان بالمدح في صورة العيب فالاستثناء آكد في الإطراء لأنهم يرون أنه لو كان في الممدوح عيب فهو هذا والحال أنه فضيلة فلا عيب فيه وهذا على حد قول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير قبضهم اللوا عند اشتباك الحرب قبض ضنين

ويقول الآخر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب

لقد انفرد الرسول الأقدس بما أُوتي من الفصاحة وحسن البيان حتى استطاع أن يخاطب جميع القبائل بلغاتها وعلى مذهبها وكان في خطابه إياهم بلحونهم أحسنهم بياناً وأقومهم منطقاً ولم يذكر التأريخ أن إنساناً لم يمارس الكتابة ولا رحل في طلب معرفة اللغات يستطيع التفوق على أهلها في وضوح الحجة وظهور البرهان مثل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا غرو فقد منحه «المهيمن جلّت آلاؤه» سلامة الفطرة وصفاء الحس ونفاذ البصيرة ومكنه من الإحاطة باللغات جمعاء على الوجه الأكمل فكان في أدائها قوي العارضة لا تغيب عنه لغة ولا تضطرب له عبارة ولا ينقطع له نظم ولا يشوبه تكلف.

أُوتي الحكمة البالغة وهو أُمي لم يقرأ كتاباً ولا درس علماً ولا صحب عالماً ولا معلماً فكان ما يأتي به من الإتقان وحسن الأداء ما أبهر العقول وأذهل الأدباء.

إني لا أقول إنه ﷺ أُمي لا يعرف الكتابة لأنها صفة كمال ويجلّ مثله عن أن يفقدها وقد جمع صفات الكمال بأسرها وبذ العالم في المحامد والمحاسن، لكني أقول إن النبي ﷺ لم يختلف إلى حبر فيستفيد من علمه ولا اجتمع بكاهن ليأخذ كهانته ولا صاحب من يعرف الحساب والكتابة والأخبار ولا نشأ بين أقوام لهم مدارسة في العلوم ليكون عنده من علومهم وهذا دليل واضح على إتيانه بما تعجز عنه العلماء وأهل البلاغة والفصاحة ومن له المعرفة بسائر الفنون وقد تنبه لهذه الظاهرة شيخنا المفيد أعلى الله مقامه فسجلها في كتابه «المقالات» درة ثمينة وحقيقة راهنة يستفيد القراء منها طريق الرشد ولقد خبط الباحثون في هذا فلم يأتوا بما فيه نجعة المرتاد فأثبتوا جهله ـ والعياذ بالله ـ حتى بمعرفة اسمه ففي يوم «الحديبية» حيث لم يتمكن من معرفة اسمه فيمحوه وضع أمير المؤمنين أصبعه عليه فمحاه وعدوا هذا مما تتوقف عليه الدعوة الإلهية وهو جهل منهم بمقام نبينا الأقدس الذي بذَّ الأنبياء في صفات الحمد وآيات الجلال:

أي خلق لله أعظم منه ... وهو الغاية التي استقصاها
قلب الخافقين ظهراً لبطن ... فرأى ذات أحمد فاجتباها
ذات علم بكل شيء كأن اللو ... ح ما أثبتته إلا يداها
علم تلحظ العوالم منه ... خير من حل أرضها وسماها
ما تناهت عوالم العلم إلا ... وإلى ذات أحمد منتهاها

وغدت تنشر الفضائل عنه كل قوم على اختلاف لغاها
وتنادت به فلاسفة الكها ن حتى وعى الأصم نداها[1]

لقد كان كلامه صلى الله عليه وآله وسلم مرتلاً واضحاً عليه مخايل النبوة والمنحة الإلهية وفيه من روعة الفصاحة وعذوبة المنطق وسلامة النظم ما تعجب منه كل من سمعه حتى قال له بعضهم:

لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فمن أدبك؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

لقد أدبني ربي فأحسن تأديبي.

فمن كلامه الذي لا يجارى في حسن إيجازه:

قوله: الناس بزمانهم أشبه، العقل ألوف مألوف، العِدَة عطية، اليد العليا خير من السفلى، الخير كثير وقليل فاعله، إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من نفسه، ثلاث منجيات وثلاث مهلكات؛ فالمنجيات: خشية الله في السر والعلانية والاقتصاد في الغنى والفقر، والحكم بالعدل في الرضا والغضب، والمهلكات: شح مطاع، وهوىً متبع، وإعجاب المرء بنفسه.

هذه لمعة من كلامه وأنت لا تجده إلا مقتصراً على قدر

---

(١) الشيخ محمد كاظم الازري البغدادي رحمه الله.

الكفاية غير مترسل هذراً ولا محجم حصراً يأتي بأقوم دليل وأوضح تعليل كيف لا وهو القائل:

أُوتيت جوامع الكلم واختصرت لي الحكمة اختصاراً.

لقد امتاز الرسول الأعظم عن سائر الأنبياء والرسل بما أودع المهيمن تعالى فيه من خلال الجمال وصفات الجلالة فكانت أحاديثه وأعماله شاملة لما يحتاجه البشر في معاشهم ومعادهم وأعماله مصدقة لأقواله لا تناقض فيها فهي نبراس لبني الإنسان يستضيئون بها على ممر الدهور ولولا ما جاء به «النبي محمد» ﷺ من الشمائل الإلهية والأعمال الحكيمة لم يفهم العالم قدر النبوة والأنبياء فأحرى بمن ينصح للناس أن يكون صابراً على احتمال الأذى والتجلد له راكباً متن الأهوال في سبيل رأيه وعقيدته واقفاً موقف العدل في أحكامه فلم يغلُ كما فعلت النصارى ولم يقصر كما صنعت اليهود ولم يمل بأصحابه إلى الدنيا ولا رفضها عن آخرها بل أمرهم بالاعتدال فيها فقال:

خيركم من لم يترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا.

وكان يكرم كريم قوم ويوليه أمرهم ويقبل معذرة المعتذر.

روى المؤرخون أن كعب بن زهير كتب إلى أخيه بحير حين أسلم يلومه ويعتب عليه، ولما علم رسول الله ﷺ بكتابه إلى أخيه أهدر النبي دم كعب فأشفق كعب على نفسه إذ لم يجد أحداً يؤويه

حتى عشيرته فقصد المدينة ونزل على أمير المؤمنين تائباً مما فرط.

فطمَّنه «أبو الحسن» عليه السلام بقبول الرسول الكريم توبته ولما أخبره أمير المؤمنين بما جاء به كعب من الندم والتوبة أنعم صلى الله عليه وآله وسلم بالقبول.

فصاح كعب بن زهير آمنت وأسلمت فسرَّ رسول الله وعفا عنه ونهر من طلب قتله.

فوقف زهير أمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنشده «بانت سعاد» يمدحه فيها ويذكر خوفه إلى أن وصل إلى قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به وصارم من سيوف الله مسلول
نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

فرمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببردته عليه تكريماً له ولرفع العادية

---

(١) في السيرة الحلبية: ج٣، ص٢٤٢، في باب ما يتعلق بالوفود أن معاوية دفع لكعب عشرة آلاف دينار فلم يبعها كعب حرصاً على هدية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن معاوية اشتراها من ورثة كعب بعشرين ألف دينار وتوارثها خلفاء بني أمية والعباس وأول من اشتراها من بني العباس السفاح بثلاثمائة دينار فكانوا يطرحونها على أكتافهم جلوساً وركوباً وكانت على المقتدر حين قتل فتلوثت بالدم وفي هذا يقول الشريف الرضي:

ردوا تراث محمد ردوا ليس القضيب لكم ولا البرد

وحكى عن ابن كثير أن التتر أخذوها بعد فتح بغداد.

عنه[١].

ولا عجب من النبي فقد جاء بالرحمة والرأفة وعلم الكتاب وأنذر وبشر وبالغ في النصيحة وقام بالهداية وأنقذ من العماية ودعا إلى الفلاح والنجاح وفي ذلك يقول سبحانه:

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

الأكبر يشبه الرسول

هذه أخلاق صاحب الدعوة الإلهية التي منحه المهيمن سبحانه بها فبذ العالم أجمع وامتاز على الأنبياء والرسل واستكبرها المولى تعالى فوصفها بالعظمة إذ يقول فيها: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾.

ولم ينص المؤرخون على مشابهة آل النبي ﷺ له في جميع الصفات إلا ولده الأكبر.

يحدث السروي عن جابر الأنصاري أن فاطمة الزهراء تشبه أباها في المشية فإنها تميل على الجانب الأيمن مرة وعلى الأيسر أُخرى[١].

ورواية الصدوق تشهد بأن الحسن شابه جده في الهيبة والسؤدد والحسين في الجود والشجاعة[٢].

---

(١) المناقب: ج٢، ص١١٢ إيران.

(٢) الخصال: ج١، ص٣٩.

وأخرج الحاكم النيسابوري عن علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لجعفر الطيار: أشبهت خَلقي وخُلقي[١].

ويحدث الشيخ الجليل الشيخ فخر الدين الطريحي في المنتخب أن الحسين قال في حق الرضيع: اللهم أنت الشاهد على قوم قتلوا أشبه الناس برسولك محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذه الشواهد كلها لا تدل على مشابهة العترة الطاهرة للرسول في جميع الصفات الكريمة.

لكن كلمة الحسين الذهبية في حق ولده الأكبر:

اللهم اشهد أنه برز إليهم أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسولك وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إليه[٢]...

ترشدنا إلى أن فقيد بيت النبوة كان في وقته مرآة الجمال النبوي ومثال كماله الأسمى وأنموذجاً من منطقه البليغ الرائع حتى إن أباه عليه السلام إذا اشتاق إلى رؤية ذلك المحيا الأبهج الذي يقول فيه حسان مصحراً بالحقيقة غير مبالغ:

وأحسن منك لم ترَ قط عيني وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرَّأً عن كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

---

(١) مستدرك الحاكم: ج٣، ص٢١١.
(٢) اللهوف للسيد ابن طاووس: ص٦٣، صيدا.

. . . عطف نظره إليه، أو أراد سماع ذلك الصوت المبهج الذي ترك نغمات داود خاضعة للطفه أصاخ إلى قيله، أو راقه تجديد العهد بتلكم الخلائق الكريمة التي مدحها الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ توجه بكلّه إليه.

وأنت تعلم أن جامع هذا الخلق الممدوح يشمل ما كان يتحلى به رسول الله من ورع وإخلاص وشجاعة وكرم وحلم وبشاشة في العشرة ودماثة في الخلق ولين الجانب وخشونة في ذات الله وتجنب عن الدنايا والرذائل سواء في ذلك ما حظرته الشريعة أو زجرت عنه الإنسانية الكاملة إلى غيرها مما حقّ له أن يعدّ عظيماً عند الله تعالى.

وإن الآثار كما عرفت وإن أفادت مشابهة أفذاذ من البشر لشخصية الرسالة لكن «الأكبر» هو المثل الأعلى لتلك الذات القدسية الكاملة المعصومة عن كل خطل المنزهة عن أي عيب المحلاة بالجمال القدسي الإلهي فلا يعدوه أن يكون معصوماً كالذوات الطاهرة من الأئمة المعصومين وإن احتاج إلى إمام يركن إليه.

وليس ببعيد من فضل الباري جل شأنه أن يوجد ذاتاً كاملة منزهة عن كل عيب مبرَّأة عن أي شين وعار وإن كلمة سيد الشهداء تلفتنا إلى تحقق تلك الشخصية القدسية بما حوته من

فضائل ومحامد في ولده علي الأكبر عليه السلام.

أضف إلى ذلك ما جاء في زيارته المخصوصة في أول رجب من قول الإمام عليه السلام:

كما مَنَّ عليك من قبل وجعلك من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وإذهاب الرجس معناه العصمة فهي متحققة فيه وإن لم تكن واجبة كوجوبها في الإمام المطلق الحجة على الخلق.

فضله

لقد كان علي الأكبر سلام الله عليه إبان شبابه تطفح عليه لوائح العظمة وتلوح على أساريره أنوار الفضيلة ويتدفق من جوانبه الكرم النبوي فكان على شرفه الباذخ ومجده الأثيل وخطره التليد الطارف متلفعاً بكل خصال الخير يرفل على باحة المنعة بأبراد المناقب القشيبة وحلل المآثر الساطعة من معروف طافح ونائل متدفق وضرائب حميدة كاثرت النجوم فكثرتها وطاولت الجبال فبذتها وكان فذّ وقته في جميع الفضائل آخذاً بأعضاد الشرف والسؤدد وإنّ الواصف مهما تشدق لينحسر بيانه عن بلوغ غاية فضله ولم يجد المخالف إلا البخوع له ومما يرشدنا إلى ظهور الفضائل وزهو المآثر عن علي الأكبر في عصره قول مادحه:

لم ترَ عين نظرت مثله من محتفٍ يمشي ومن ناعل
يغلي نهيء اللحم حتى إذا أُنضج لم يغلُ على الآكل[1]

(١) يغلي: الأولى بمعنى يفير، والنهيء: كأمير اللحم النيء، ويغل: الثانية ضد يرخص.

كان إذا شبت له ناره أوقدها بالشرف القابل[١]
كيما يراها بائس مرمل أو فرد حي ليس بالآهل
لا يؤثر الدنيا على دينه ولا يبيع الحق بالباطل
أعني ابن ليلى ذا السدى والندى أعني ابن بنت الحسيب الفاضل[٢]

وهذه الصفات التي نضدها الشاعر في سلكه الذهبي لم تجرِ مجرى المبالغة في القول أو الخيال الشعري وإنما هي حقائق راهنة كيف لا وقد تفرع «الأكبر» من الدوحة النبوية وكان غصناً من أغصان الخلافة الإلهية وإن الفضائل والفواضل بأسرها موروثة له من سلفه الطاهر الهاشمي.

ومما يشهد له أن معاوية مع ما عليه من المباينة مع الهاشميين لم يسعه إلا الاعتراف أمام قومه باجتماع الفضائل في «علي الأكبر» وأنه جدير بالخلافة وقابل للزعامة الدينية يوم قال لمن حضر عنده من أهل الشام وغيرهم:

من أحق بهذا الأمر؟

قالوا أنت.

فقال معاوية: لا، أولى الناس بهذا الأمر علي بن الحسين

---

(١) الشرف: الموضع العالي، والقابل: بمعنى المقبل.
(٢) السدى: هو الندى أول الليل، والندى: هو النائل آخر الليل.

بن علي جده رسول الله وفيه شجاعة بني هاشم وسخاء بني أمية وزهو ثقيف[١].

نحن لا نشك في أن الأكبر كان جامعاً للفضائل وحائزاً لما هو أربى وأرقى منها وهو العصمة عن المآثم ومنافيات الأخلاق والمروءة ولا يأتي بما يخالف الأولى كيف لا وقد جمع الخُلق المحمدي بأتم معانيه حتى عن الدنس من الآثام بشهادة أبيه الواقف على نفسيات الرجال وكما شهد نص الزيارة المتلوّة عند قبره في أول رجب والتي علّمها الصادق عليه السلام أبا حمزة الثمالي[٢].

وهذه الكلمة الصادرة من معاوية ترشدنا إلى أن علياً الأكبر يومئذ معروف عند أهل الشام وغيرهم بأنه الجامع للقداسة الإلهية ومحاسن الأخلاق بأجلى مظاهرها وإلا فلا يعقل أن يشير معاوية بأهلية الخلافة إلى رجل غير مرموق عند الناس من جميع الفضائل.

كما أن معاوية لم يشك في أن هاتيك الفضائل موروثة له من سلفه الطاهر فحسب ولكنه تغافل عن ذلك حتى شرك معهم غيرهم لمغازٍ تختلج في صدره.

---

(١) مقاتل الطالبيين: ص٣١، إيران.

(٢) كامل الزيارة لابن قولويه.

أولاً ـ أراد أن يزحزح الخلافة عن أبيه الحسين المنصوص عليه من جده النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبيه الوصي عليه السلام بإيجاد شخص من هذا البيت يكون مرجع الأمة في النوائب وغياثها المرتجى وفصل القضاء وتبياناً للمشكلات.

وثانياً ـ أراد تخفيف وطأة المنازع في خلافته بحصر شرائط الخلافة في هذه الأمور الثلاثة دون غيرها لفقده أهم ما يشترط في الخليفة على المسلمين من العلم والعصمة والنص.

ثالثاً ـ أراد إثبات فضيلة في قومه غير أن البرهنة تعوزه فشرك معهم من لا يدافع في فضله وهم الهاشميون وثقيف وأنت على ثقة من خلو البيت الأموي عن كل فضيلة ومكرمةٍ منذ نشأة جدهم عبد شمس الذي كفله أخوه هاشم وقد كان مملقاً لا مال له وأمية الذي استعبده عبد المطلب عشر سنين وذلك لما تراهنا على فرسين وجعلا الخطر لمن سبقت فرسه مائة من الإبل وعشرة أعبد وعشر إماء واستعباد سنة وجز الناصية.

فسبق فرس عبد المطلب فأخذ الخطر وقسمه في قريش وأراد جز ناصيته فافتدى ذلك باستعباد عشر سنين فكان أمية يعدّ في حشم عبد المطلب هذه المدة.

وأما حرب بن أمية جد معاوية فأجاره عبد المطلب من ابنه

الزبير وكفأ عليه إناء هاشم الذي يهشم فيه الثريد[١] وكان أبو سفيان شحيحاً بخيلاً لا ينفق على زوجته هند فألجأها ذلك إلى السرقة من ماله لتنفق على نفسها وولدها.

فأنى يقاسون هؤلاء بهاشم مطعم الحاج وساقيهم وكانت مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء وهو أول من سن لقريش الرحلتين إلى اليمن والشام وأخذ لهم من ملوك الروم وغسان ما يعتصمون به[٢].

وقد كانت تجارة قريش لا تعدو نفس مكة وضواحيها وإنما تقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترونها حتى رحل هاشم إلى الشام ونزل على قيصر فأعجبه حسن خلقه وجمال هيئته وكرمه فلم يحجبه وأذن له بالقدوم عليه بالتجارة وكتب أماناً فارتقت منزلة هاشم بين الناس وسافر في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام واشترك في تجارته رؤساء القبائل من العرب ومن ملوك اليمن والشام وجعل له معهم ربحاً وساق لهم إبلاً مع إبله وكفاهم مؤنة الأسفار على أن يكفوه أذى الأعداء في طريقه إليهم ومنصرفه فكان في ذلك صلاح عام للفريقين وكان المقيم رابحاً والمسافر محفوظاً فأخصبت قريش بذلك وأتاها الخير من البلاد

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج٣، ص٤٦٦.
(٢) تاريخ الطبري: ج٢، ص١٨٠.

العالية والسافلة ببركة هاشم وهذا هو الإيلاف المذكور في القرآن المجيد[١]:

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢﴾.

وأما عبد المطلب فكان يدعى شيبة الحمد لكثرة حمد الناس له لكونه مفزع قريش في النوائب وملجأهم في الأمور فكان شريف قومه وسيدهم كمالاً ورفعة غير مدافع وهو من حلماء قريش وحكمائهم وقد سن لهم أشياء أمضاها له الإسلام.

فإنه حرم نساء الآباء على الأبناء، ووجد كنزاً أخرج خمسه وتصدق به، وسن في القتل مائة من الإبل، ولم يكن للطواف عند قريش عدد فسنه سبعة أشواط، وقطع يد السارق، وحرم الخمر والزناء، وأن لا يطوف بالبيت عريان، ولا يستقسم بالأزلام، ولا يؤكل ما ذبح على النصب[٢].

وقيل له الفياض لجوده وكثرة نائله حتى إن مائدته يأكل منها الراكب ثم ترفع إلى جبل أبي قبيس لتأكل منها الطيور والوحوش[٣].

ولمنعته وشرفه كان يفرش له بإزاء الكعبة ولم يفرش لأي أحد

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج٣، ص٤٥٤ و٤٥٨.
(٢) الخصال للصدوق والسيرة الحلبية: ج١، ص٥.
(٣) النبراس في تاريخ بني العباس: ص١٦٥، والسيرة الحلبية: ج١، ص٤.

من قريش ولا يجالسه على بساط الأُبهة والعظمة إلا نبي الرحمة[١].

وكان وصياً من الأوصياء وقارئاً للكتب السماوية ولم يزل يلهج في محافل قريش بظهور نبي من صلبه ثم يوصي ولده وقومه بالإيمان به واتباع أمره[٢].

وأما أبو طالب سيد البطحاء وموئل قريش وزعيمهم المقدم بعد أبيه فلا يفتأت رأيه ومن غريب أمره أن قريشاً لما أبصرت العجائب ليلة ولادة أمير المؤمنين عليه السلام جاءوا بالآلهة إلى جبل أبي قبيس يتضرعون إليها ليسكن ما حل بهم فارتج الجبل وسقطت الأصنام فازداد تحيرهم وفزعوا إلى أبي طالب لأنه كأبيه عصمة المستجير وسألوه عن ذلك فرفع يديه مبتهلاً إلى الله سبحانه يقول: «إلهي أسألك بالمحمدية المحمودة والعلوية العالية والفاطمية البيضاء إلا تفضلت على تهامة بالرأفة والرحمة».

فسكن ما حل بهم ببركات هذه الأسماء الطيبة الكريمة على الله تعالى وعرفت قريش فضل هذه الأسماء قبل ظهورها فكانت العرب تكتب هذه الأسماء وتدعو بها في المهمات فيكشف الله تعالى عنها ضراءها ولم تكن تعرف حقيقتها[٣].

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١١، وتاريخ الخميس: ج١، ٢٧٠.
(٢) البحار: ج٩، ص٣١.
(٣) روضة الواعظين للفتال: ص٦٩.

وما عسى أن يقول القائل في من هو أشرف الخليقة وعلة الكائنات المتكون من النور الإلهي القدسي «نبينا محمد» صلى الله عليه وآله وسلم وأعطف عليه في الفضائل كلها وصيه المقدم الذي هو منه بمنزلة هارون من موسى «علي بن أبي طالب» عليه السلام ثم ريحانته سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

فعلي الأكبر هو المتفرع من هذه الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء والوارث لهذه المآثر النيرة والحائز على جمال النبوة وأُبهة الخلافة الإلهية.

ورث الصفات الغر فهي تراثه عن كل غطريف وشهم أصيد
في بأس محمد في شجاعة حيدر بإبا الحسين وفي مهابة أحمد
وتراه في خلق وطيب خلائق وبليغ نطق كالنبيّ مُحمّد

ثم لا يخفى على المتأمل في كلمة معاوية:

«فيه شجاعة بني هاشم» غرضه الذي يرمي إليه فإنه أراد حمل الناس على اعتقاد الشجاعة في الهاشميين أجمع بإيجاد شخص من أهل البيت حوى هذه الفضيلة الرابية لتنحرف الناس عن تلك العقيدة الراسخة بأن أمير المؤمنين هو الأسد الخادر ولا يتذاكرون مواقفه المشهودة في مغازي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذه الكلمة من معاوية على حد قوله لابن عباس لما مات الحسن عليه السلام:

بلغني أن عند أبي محمد أولاداً صغاراً فمن يكفلهم ومعاوية يعتقد كما أن غيره يعتقد أن «الحسين عليه السلام» هو الذي تتفيَّأ بظله محاويج الناس وبالأخص بنو هاشم لكن ابن عباس لم يتقاعس عن الرد عليه حين قال له معاوية: فأنت سيد القوم.

وليس الغرض إلا تضعيف كفة أبي عبد الله عليه السلام بإيجاد رئيس من هذا البيت يكفل الطائفة ويقوم بتدبيرهم.

فقال له ابن عباس:

إن كبيرنا اليوم الحسين بن علي[١] وكل من كان صغيراً يكبر وإن طفلنا لكهل وصغيرنا لكبير[٢].

لم يستبد بذلك معاوية بل المتصفح للتأريخ يقف على أن عمر بن الخطاب هو المجدّ في إكبار رجال من البيت الهاشمي حتى لا يكون نظر الناس مقصوراً على أمير المؤمنين بل تعتقد الأمة أن في هذا البيت غير «أبي الريحانتين» يكون مفزعاً للنوائب فنراه يخرج العباس بن عبد المطلب للاستسقاء[٣] مع وجود أمير المؤمنين عليه السلام.

وأي أحد يجاريه في صفات الفضل ومخائل الرفعة حتى إن

---

(١) البحار: ج١٠، ص١٣٧، عن ربيع الأبرار للزمخشري.
(٢) العقد الفريد: ج٢، ص٣٠٣.
(٣) شرح النهج الحديدي: ج٢، ص٢٥٦.

عمر نفسه لم يزل يهتف غير مرة:

لولا علي لهلك عمر[١].

ويقول:

اللهم لا تبقني لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب[٢].

ويقول:

لا أبقاني الله بأرض لست فيها يا أبا الحسن[٣].

ويقول:

لا أبقاني الله بعدك يا علي[٤].

ويقول:

أعوذ بالله من معضلة ولا أبو حسن لها[٥].

---

(١) ذخائر العقبى: ص٨٢، والرياض النضرة: ج٢، ص١٩٤، وفيض القدير: ج٤، ص٣٥٧.

(٢) تذكرة السبط: ص٨٧، ومناقب الخوارزمي: ص٥٨.

(٣) إرشاد الساري في شرح البخاري: ج٣، ص١٩٥.

(٤) الرياض النضرة: ج٢، ص١٩٨، فيض القدير: ج٤، ص٣٥٧، وتذكرة السبط: ص٨٨، ومناقب الخوارزمي: ص٦٠.

(٥) تاريخ ابن كثير: ج٧، ص٣٥٩، والفتوحات الإسلامية لابن دحلان: ج٢، ص٣٠٦.

ويقول:

أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن[١].

ويقول:

اللهم لا تنزل بي شديدة إلا وأبو الحسن إلى جنبي[٢].

وكان عمر يعلم بأن دعاء أمير المؤمنين أسرع في الإجابة وأقرب إلى المهيمن تعالى في استنزال الرحمات الإلهية وأين يقع دعاء العباس وغيره في جنب دعاء سيد الوصيين عليه السلام أخي نبي الرحمة وخاصته.

لكن النابه الفطن يعرف الغاية المتوخاة له من تقديمه العباس وتركه أمير المؤمنين وهو بحضرته لم يغب عن المدينة فإن القصد كله ليس إلا تبعيد الناس عن الاستضاءة بذلك النور القدسي وأن لا تحظى الأمة بالزلفى المباركة.

ومن هذه الناحية نشاهده مرة أُخرى ينهى عن الإكثار من

---

(١) الرياض النضرة: ج٢، ص١٩٧، ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد: ج٢، ص٣٥٢.

(٢) الرياض النضرة: ج٢، ص١٩٤، وذكر العلامة الجليل ميرزا عبد الحسين الأميني في كتابه «الغدير في الإسلام»: ج٣، ص٩١، كلمات له كثيرة في ذلك وخرج مصادرها.

الرواية عن رسول الله[١] صلى الله عليه وآله وسلم فإن المغزى من هذا النهي الشديد ما ألمعنا إليه فإن الصحابة لما وعوا أحاديث الرسول في موطن بعد موطن وسمعوا هتافه على منبر الدعوة الإلهية في فضل أخيه أمير المؤمنين وولده المعصومين وطبعاً إذا قدموا البلدان يسألونهم الناس عما سمعوه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما شاهدوه من حالاته مع آله الأقربين فتظهر هنالك الحقائق فتضطرب الحالة وينتقض الأمر فأراد بالنهي عن إكثار الحديث عن رسول الله تبعيد الأمة عن سماع تلك الفضائل والمآثر النيرة ولولا هذا فما البأس في نقل الأحاديث التي حملتها الصحابة لتبصر الأمة طريق رشدها من غيّها.

---

(١) مستدرك الحاكم: ج١، ص١٠٢، وتذكرة الحفاظ للذهبي: ج١، ص٧، = = وسنن ابن ماجة: ج١، ص١٦، وسنن الدارمي: ج١، ص٨٥، وجامع العلم لأبي عمرو صاحب الاستيعاب: ج٢، ص١٢٠، ط مصر.

الأكبر مع الحسين عليه السلام

٨٠ ..... علي الأكبر عليه السلام

تمهيد

الولد رشحة من رشحات أبيه ولمعة مما تكنه جوانحه وانطوت عليه أضالعه ومظهر من مظاهره في طبائعه وغرائزه في صفاته وضرائبه في فضائله ورذائله قضاءً لناموس الوراثة بينهما المشترك بين المآل والحال المنبعث عن كونه شظية من كبده وعضواً من أعضائه ومن تربيته الممرنة على الطبيعة المنتقلة منه إليه ولذلك تجد الولد على سر أبيه مهما كان الأب براً أو شقياً وقد أوجب المولى سبحانه للأبوين حقوقاً على الولد لاسيما إذا كانا صالحين.

ومن عظيم أمرهما عند الله تعالى شأنه أنه قرن شكرهما بشكره فقال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ كما قرن الإحسان إليهما بتوحيده فقال جل شأنه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.

كل ذلك لأنهما مبدأ وجود الولد وأوعية نطفته وجثمانه بين الصلب والترائب وكفيلا تربيته وملقحا الفضائل في نفسيته طبيعياً

وتلقينياً فالفضل كله لهما في نشوئه على الدين الحق والسلوك به إلى الطريق المهيع والملكات الفاضلة وإليه يشير الشاعر:

لا عذب الله إمي إنها شربت حب الوصي وغذتنيه في اللبن
وكان لي والد يهوى أبا الحسن فصرت من ذا وذي أهوى أبا حسن

وقد أوجب الله تعالى على الولد الخضوع لهما والتواضع قولاً وفعلاً فقال جل شأنه: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾.

وإطلاق الأمر بالدعاء لهما شامل للحي والميت منهما وحيث إن الأمر للوجوب من غير تكرار فيكفي الدعاء لهما في العمر مرة واحدة والزيادة من الراجح المندوب إليه وارتأى هذه النظرية المحقق السيد علي خان أعلى الله مقامه.

وفي هذا الأمر بالدعاء لهما إيماء إلى أن شفقة الولد عليهما أقل من شفقتهما عليه فإنه لو كانت الشفقة في الأولاد متوفرة لما صدرت الوصية لهم بخفض الجناح والخضوع والتذلل والعطف وإلانة الجانب لهما.

فشفقة الأبوين على الأولاد ذاتية عمّت جميع الحيوانات ومن غاية شفقتهما عليه أنهما يطلبان له كل كمال ولا يحسدانه إذا كان خيراً منهما بل يتمنيان له كل سعادة وما فيه الفوز والرقي بخلاف غير الأبوين فإنك تجده لا يرضى أن يكون غيره خيراً منه ومن

هنا كان تعظيم الأبوين أمراً معتبراً في جميع الشرائع.

ومن الجهل ما يحكى أن بعضهم كان يضرب أباه ويقول هو الذي أدخلني في عالم الكون والفساد وعرضني للفقر والعمى والزمانة.

وروي أن أبا العلاء المعري أمر أن يكتب على قبره:

هـــذا جـــنـــاه أبـــي عـــلـــي
ومـــا جـــنـــيـــت عـــلـــى أحـــد

وقال بعض الحكماء:

قـــبـــح الله لـــذة قـــد تـــوالـــت
نـــالـــهـــا الأمـــهـــات والآبـــاء
نـحـن لـولا الـوجـود لـم نـألـم الـفَـقْـ
ـدَ فـإيـجـاده عـلـيـنـا بـلاء

وكان بعضهم يعظم أستاذه أكثر من والده فقيل له في ذلك قال إن الأستاذ تحمل الأذى والجهد في إنقاذي من الجهل وتنويري بالعلم وإن أبي طلب لذة الوقاع لنفسه وأخرجني إلى آفات عالم الكون والفساد[1].

وهذا جهل منهم فإن الوالد هب أنه في أول أمره طلب اللذة

---

(١) شرح الصحيفة للسيد علي خان: ص٢٣٢ في باب الدعاء للأبوين.

إلا أن اهتمامه بإيصال الخيرات إلى ولده ودفع الآفات عنه من أول وجوده إلى آخر عمره لا ينكر وفي الحديث أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشكو أباه بأنه أخذ ماله فأرسل النبي إلى الأب وقبل مجيئه هبط الأمين جبرائيل عليه وأمره أن يسأله عما قاله في نفسه ولما حضر الشيخ عند رسول الله قال سله يا نبي الله هل أنفق ماله على نفسي أو على عماته وخالاته؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعني من هذا وأخبرني عن شيء قلته في نفسك لم تسمعه أذناك؟ فقال الشيخ: والله يا بنيّ الله إنه سبحانه وتعالى لم يزل يزيدنا فيك إلا يقيناً، لقد قلت في نفسي شيئاً ما سمعته أذناي.

فقال قل وأنا أسمع.

قال قلت:

غذوتك مولوداً وقد كنت يافعاً ... تعلّ بما أحني عليك وتنهل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت ... لسقمك إلا ساهراً أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي ... طرقت به دوني فعيني تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وإنها ... لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التي ... إليها مدى ما فيك كنت أُؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة ... كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترعَ حق أُبوتي ... فعلت كما الجار المجاور يفعل

فلما سمع النبي هذا من الشيخ التفت إلى ابنه وقال: قم أنت ومالك لأبيك[١].

فالولد مهما يقوم بخدمة أبويه لا يؤدي قدر حنوهما وشفقتهما وعطفهما عليه لأنهما طيلة عمر الولد يجدّان في تكثير الخير له ودفع الأذى عنه ويودان سلامته وإن أصابتهما العوارض دونه فهل والحالة هذه يستطيع الولد أداء شكرهما والإحسان إليهما؟

ومن هنا ورد إلزام الشارع الأقدس باحترامهما واجتناب ما يغيظهما فيقول سبحانه وتعالى:

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾.

وفي الإتيان بكلمة أف زيادة حث وتأكيد على إكرامهما عندما يطعنان في السن فيكونان في حاجة إلى الخدمة والرفق فيكون في نهي الأولاد عن الإتيان بأقل كلمة تدل على الضجر والسأم والملل وهي «أف» دلالة بالأولى على المنع مما هو أكبر من هذه الكلمة وهو الصياح والزجر بغلظة فضلاً عن الضرب والشتم والمراد من قوله تعالى ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ عدم الامتناع من إتيان ما يريدانه وليس المراد منه الطرد والدفع فإنه على حد قوله تعالى

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي الأندلسي: ج٢، ص٣٥.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ وإلا فالنهر والزجر والقول الغليظ مدلول عليه بالنهي عن كلمة «أف».

وليس النهي عن ذلك مخصوصاً بما إذا طعنا في السن بل النهي عن قول «أف» شامل لجميع الأحوال وإنما نص على الكبر للإرشاد إلى أنهما في هذا السن أحوج إلى الخدمة من غير هذا الحال.

ثم إن البر بالأبوين لا يختص بحال الإسلام فإن الأبوين إذا كانا مشركين وجبت مصاحبتهما بالمعروف لقوله تعالى ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ فأخرج سبحانه من عموم الإحسان وخفض الجناح لهما خصوص ما لو حملاه على الشرك بالله تعالى وأما لو لم يحملاه على الشرك فلزوم طاعتهما واحترامهما ثابت بالأمر بالإحسان إليهما ويشهد لذلك إطلاق قوله سبحانه وتعالى لموسى بن عمران: أخبر عبادي أن من عق والديه أو سبهما مسلمين كانا أو مشركين ثم مات قبل أن يموتا فلا أمان له عندي[1].

وسألت أسماء بنت عميس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن صلة أمها وهي على الشرك فقال لها نعم صِلي أمك.

---

(١) مستدرك الوسائل: ج٢، ص٦٣١، عن لب اللباب للراوندي.

وسأل رجل أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن بره لأبويه المخالفين له فقال عليه السلام.

برهما كما تبر المسلمين[١].

وليس المقصود من الشرك هنا الإكفار بالله تعالى بل خلاف الطاعة لله تعالى فلا يعتبر إذنهما في الجهاد بل ولا تحرم مخالفتهما فيه وعلى ذلك صاحب الجواهر مستدلاً بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يخرج معه إلى الجهاد من الصحابة من كان أبواه كافرين كأبي بكر وأبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة ولم يتباعد الرازي عن هذا الرأي في تفسير الشرك[٢].

وإطاعة الأبوين لا تختص بالحرين منهما فإن طاعة المملوكين منهما لازمة لعموم الإحسان إليهما وبه أفتى الشيخ الطوسي والشهيدان.

وعدّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الإحسان إليهما عتقهما قال:

لا يجزي ولد عن والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه ويعتقه[٣].

---

(١) المصدر: ص٦٦٨، عن التعريف للكراجكي.
(٢) مفاتيح الغيب: ج٦، ص٥٤١، في تفسير الآية.
(٣) مستدرك النوري: ج٢، ص٦٣٣، عن كتاب التعريف.

وليس الإحسان إلى الأبوين مقصوراً على الحياة بل يعمّ ما بعد الموت ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن الصلاة عنهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما بعد موتهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التي يوصلانها من البر بهما[١] ويترتب عليه فوائد البر والإحسان إليهما ويزيده الله ببره خيراً كثيراً[٢].

ولقد عد أهل البيت من العقوق أن يموت الأبوان فلا يقضي الولد عنهما دَيْنهما ولا يستغفر لهما وإن كان في حياتهما باراً بهما ومن العقوق أن ينظر الولد إلى أبويه بحدة أو يسميهما باسمهما أو يمشي بين يديهما أو يجلس أمامهما.

ولو كان في حياتهما عاقاً لهما وبعد موتهما استغفر لهما وتصدق عنهما وقضى دَينهما وفعل ما فيه البر عنهما كان ذلك موجباً للقرب من المولى سبحانه بالرحمة والرضوان بسبب ذلك فإن البر بالوالدين كما يزيد في الأجل يوجب بر ولده به.

وإن لله ملكين يقول أحدهما: اللهم احفظ البارّين بعصمتك، ويقول الثاني: اللهم أهلك العاقين بغضبك[٣].

ولقد سر الإمام الصادق عليه السلام لما أخبره عمار بن حيان ببر

---

(١) مجمع البيان: ج٦، ص٤١٠، صيدا.
(٢) جامع السعادات للنراقي إيران: ص٣٣٦.
(٣) لب اللباب للراوندي.

ولده إسماعيل به وحكى فعل رسول الله ﷺ مع أخته من الرضاعة فإنها لما وفدت عليه بسط لها ملحفته وأجلسها عليها ولم يفعل هذا مع أخيها فسئل عنه فقال إنها أبر بوالديها منه[١].

ثم قال رحم الله والدين حملا ولدهما على برهما ولم يضطراه إلى العقوق[٢].

ثم إن الأبوين وإن كان لهما جميعاً حق على الولد إلا أن حق الأم أهم فإن رجلاً سأل النبي ﷺ عمن يبر من أبويه فأمره ببر أمه فكرر السؤال ثلاثاً وهو يأمره ببر أمه وفي الرابعة أمره ببر أبيه[٣].

وشكى رجل إلى رسول الله ﷺ خلق أمه فقال ﷺ: إنها لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر وحين أرضعتك حولين وحين سهرت لك ليلها وأظمأت نهارها فقال الرجل إني جازيتها وحججت بها على عاتقي فقال ﷺ: ما جازيتها ولا طلقة[٤].

وفي الحديث عن الرضا عليه السلام إن حق الأم ألزم الحقوق وأوجبها لأنها حملت حيث لم يحمل أحد أحداً ووقته بالسمع والبصر وجميع الجوارح مسرورة مستبشرة فحملته بما فيه من

---

(١) سفينة البحار للشيخ عباس القمي: ج٢، ص٦٨٦.
(٢) مكارم الأخلاق: ص٣٠٠.
(٣) سبط الطبرسي في المشكاة.
(٤) شرح الصحيفة للسيد علي خان: ص٢٢٧، في باب الدعاء للوالدين.

المكروه الذي لا يصبر عليه أحد رضيت بأن تجوع ويشبع ويروى وتظمأ ويكسى وتعرى وتظله وتضحى فليكن الشكر لها والبر والرفق بها على قدر ذلك[١].

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: حق الوالد أن تطيعه ما عاش وأما حق الوالدة فهيهات هيهات لو أنه عدد رمل عالج وقطر المطر أيام الدنيا قام بين يديها ما عدل ذلك يوم حملته في بطنها[٢].

وهذه الأهمية من جهة تحملها ما لم يتحمله الأب من المشاق لكونها حملته بين الجنبين وأجلسته على الفخذين وأرضعته من الثديين وفدته بالأبوين[٣] إلى مصاعب تلاقيها عند الولادة فتكون على شفا من الهلكة في مداراتها له في الحر والبرد ومن هنا ورد أن الجنة تحت أقدام الأمهات[٤] وعد من الشهداء الميتة في النفاس وفي هذا يقول بعضهم:

لأمك حق لو علمت كبير ... كثيرك يا هذا لديه يسير
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي ... لها من جراها أنة وزفير
وفي الوضع لو تدري عليها مشقة ... فمن غصص كاد الفؤاد يطير

---

(١) فقه الرضا.
(٢) عوالي اللئالي.
(٣) التعريف بحقوق الأبوين للكراجكي، مخطوط.
(٤) لب اللباب للراوندي.

وكم غسلت عنك الأذى بيمينها وما حجرها إلا لديك سرير
وتفديك مما تشتكيه بنفسها ومن ثديها شرب لديك نمير
وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها حنواً وإشفاقاً وأنت صغير
فآهاً لذي عقل فيتبع الهوى وآهاً لأعمى القلب وهو بصير
فدونك فارغب في عميم دعائها فأنت لما تدعو به لفقير

وغير خفي أن طاعة الأبوين وحرمة مخالفتهما لا تعتبر في الواجبات العينية لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولم يعرف في ذلك مخالف كما نص عليه العلامة الحلي في «المنتهى» وأما الواجبات الكفائية: كالصلاة على الأموات والجهاد إن لم يتعين عليه، ففريق من العلماء اعتبر إذن الأبوين لقول الصادق عليه السلام إن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال إني نشيط راغب في الجهاد ولي والدان كبيران يزعمان أنهما يأنسان بي ويكرهان خروجي فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقم مع والديك والذي نفسي بيده لأُنسهما بك يوماً وليلة خير من جهاد سنة[1].

وقال له آخر إني أحب الجهاد ووالدتي تكره ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كن مع والدتك والذي بعثني بالحق نبياً لأُنسها بك ليلة خير من جهاد سنة[2].

---

(١) مستدرك الوسائل: ج٢، ص٢٤٥.
(٢) الوسائل للحر العاملي: ج٢، ص٤١٧، عين الدولة.

وحدث ابن عباس أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جئت أُبايعك على الهجرة وتركت أبويّ يبكيان فقال النبي ارجع إليهما وأضحكهما كما أبكيتهما.

وحيث إن هذه الأحاديث لا تدل على أكثر من الرفق بهما وإضحاكهما وإيناسهما كان لازمه ثبوت سلطنة المنع لهما فإن منعا حرمت مخالفتهما وإلا فلا حرمة ولا دلالة فيها على اعتبار إذنهما بحيث لو خرج إلى الجهاد من دون إذنهما ولا منعهما لم يكن عاصياً وليس سفره معصية ومن هنا ذهب الفريق الثاني من العلماء إلى عدم اعتبار إذنهما، نعم يعتبر أن لا يمنعا منه.

وخبر سعيد بن جبير الناصّ على أن رجلاً هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: هل لك باليمن أحد؟ قال: نعم أبواي، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: هل أذنا لك؟ قال: لا، فقال: ارجع إليهما واستأذنهما فإن أذنا لك فجاهد وإلا فبَرّهما[1].

وإن اعتبر إذن الأبوين المقتضى لعدم صحة الجهاد مع فقدها إلا أن رجاله مجهولون فلا ينهض بالحجة على ما يدعيه الفريق الأول من العلماء وهو اعتبار إذنهما.

والإجماع المحكي في «المنتهى» لم يظهر من معقده هذه

---

(١) مستدرك النوري: ج٢، ص٢٤٥.

الصورة مع احتمال الدلالة على خصوص سلطنتهما على المنع فلو لم يمنعا منه فلا عصيان.

ولعل هذا منشأ حكم الشهيدين وغيرهما في الاقتصار على أن للأبوين منعه عن الجهاد من دون أن ينصّوا على اعتبار الإذن منهما.

هذا حال الواجبات وأما المندوبات كالنوافل والزيارات والصدقات وطلب العلم إن لم يتعين عليه وأعمال البر فيظهر من جماعة اعتبار إذنهما وكأنه لما ورد عن هشام بياع الكرابيس عن أبي عبد الله عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وفيه:

من بر الولد أن لا يصوم تطوعاً ولا يحج تطوعاً ولا يصلي تطوعاً إلا بإذن أبويه وإلا كان الولد عاقاً قاطع الرحم[1].

لكن في سند الحديث أحمد بن هلال العبرتائي وقد اتفق أهل الرجال على أنه غالٍ كذاب فهو متروك الحديث ولا يصلح سنداً للحكم ومن هنا ضعف الحديث المجلسي في مرآة العقول: ج ٣، ص ٢٣٨، والميرزا القمي في «الغنائم» ص٥٠٠.

وقد ارتأى بعض العلماء وجوب طاعة الأبوين في كل فعل وإن كان شبهة فلو أمراه بالأكل معهما من مال مشتبه عنده أكل لأن إطاعتهما واجبة وترك الشبهة مستحب.

---

(١) علل الشرائع للصدوق: ص١٣٤، باب ١١٥.

ولو دعواه إلى فعل وقد حضرت الصلاة فليؤخرها لأجل إطاعتهما.

كما أنه لو دعواه وهو في النافلة لزمه قطعها واستدل له بما روي أن امرأة نادت ولدها جريحاً فلم يلتفت إليها فأُخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لو كان جريح فقيهاً لعلم أن إجابة أمه أفضل من صلاته[١].

لكن صاحب الجواهر أعلى الله مقامه[٢] استشكل في عموم وجوب الطاعة لهما في كل ما يقترحانه حتى مما لا أذية عليهما في الفعل والترك لعدم الدليل المعتد به على ذلك فإن العقوق المنهي عنه هو ضد البر وهو أمر عرفي ففي ما يصدق عرفاً أنه عاق لهما تتحقق الحرمة وفي ما لم يصدق عليه أنه عاق لهما فلا حرمة.

ولعل أكثر ما ورد في حكم الأولاد مع الأبوين إنما هو للتأديب والتنزيه وتعريف كبر شأنهما وأنه ينبغي للولد أن يكون مع الأبوين كالعبد الذليل مع مولاه وسيده.

ويؤيده ما ورد في صلاة الجماعة من السؤال عن الصلاة مع رجل لا بأس به إلا أنه يخالف أبويه فقال الإمام لا بأس.

---

(١) هذه الفروع ذكرها الشهيد الأول في القواعد: ص٢١٢.

(٢) تعرض للمسألة مفصلاً في كتاب الجهاد عند اعتبار إذن الأبوين.

ولو كان مطلق المخالفة لهما عقوقاً لما صحت صلاته ولعل هذا هو منشأ فتوى الشيخ الجليل الصدوق بأنه ليس للوالدين على الولد طاعة في ترك الحج تطوعاً كان أو فريضة ولا في ترك الصلاة ولا في ترك الصوم تطوعاً كان أو فريضة ولا في شيء من ترك الطاعات.

وذكر صاحب الجواهر أن المستفاد من الأدلة عدم الفرق بين أن يمنعه كلاهما أو أحدهما وأما لو منعه أحدهما عن الفعل وألزمه الآخر به فالظاهر السقوط للأصل ا هـ.

وكأنه أراد أصالة عدم اللزوم عليه بعد سقوط طاعتهما للمعارضة اللهم إلا أن نقول بأهمية حق الأم فالترجيح لها لكنك قد عرفت أن الأهمية في ما إذا كان ذلك مستلزماً للعقوق في حقها.

وأما إذا لم يصادق الفهم العرفي على هذا الاستلزام فلا تكون المخالفة محرمة.

وإطلاق لفظ الأبوين في الأخبار يشمل الأجداد والجدات وعليه العلامة الحلي في التذكرة والشهيد الثاني في المسالك وزاد الشهيد وجوب طاعة الأجداد والجدات حتى لو كانا مع الأبوين وتعارضا في الفعل والترك.

الأكبر في الطريق

هذا حال الأبناء مع آبائهم ولا شك أن الأبناء يتفاوتون في طيّ مراحل الطاعة حسب تفاوت نفسياتهم وملكاتهم واختلاف مراتبهم فكلما قوي الإيمان واشتد العقل وكمل الإحساس وتنزهت النفس عن الرذائل قربت من المولى سبحانه ودانت للقيام بأداء التكاليف والمثول أمام المهيمن جل شأنه في الخضوع والطاعة.

ولقد كان الشهيد «الأكبر» عليه السلام حاوياً صفات الجلال والجمال المحمدي متصلاً بالمبدأ الأعلى متجرداً عن عالم الملك الزائل وقد نزعت نفسه الطاهرة إلى صقع القداسة وناهيك من قوة إيمانه ونفوذ بصيرته تفانيه دون كلمة الحق وسلوكه مسلك أبيه الطاهر إلى غاياته الكريمة في نهضته المقدسة مع ما كان يشاهده في تلك الثنايا والعقبات من المنذرات بتخاذل القوم وتدابر النفوس وأنهم قادمون على أسنة مشرعة وسيوف مشحوذة ونبال مفوقة وعصبة تريد استئصال شأفة آل الرسول.

لكن إخلاصه في التضحية وتسليمه للمفاداة دون إمام الحق لم يثنيا من عزمه شيئاً ولا أكديا له أملاً وكان فرحاً بقرب الموعد وأزوف الغاية وكيف لا يكون كذلك:

وهو ابن من دنا إلى أدناه ... فما أجله وما أعلاه
فتى قريش بل فتى الوجود ... وليثها بل أسد الأسود
وسيفها العادل في قضائه ... بل هو سيف الله في مضائه
فارسها بل فارس الإسلام ... أكرم بهذا البطل الإمام
من دوحة العلياء غصنها الطري ... نماه بالقدس نمير الكوثر
هو النبي في معارج العلا ... لكن عروجه بطف كربلا
نال من العروج منتهى الشرف ... ومن رياض القدس أفضل الغرف[1]

يشهد لهذا الحديث عقبة بن سمعان قال لما كان السحر من الليلة التي بات الحسين فيها بقصر بني مقاتل أمرنا بالاستقاء ثم ارتحلنا فبينا هو يسير إذ خفق برأسه خفقة وانتبه يقول:

«إنّا لله وإنّا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين» وكرره ثلاثاً.

فأقبل إليه ابنه علي الأكبر وكان على فرس وقال له: جعلت فداك مم استرجعت وحمدت الله؟

---

(١) من ارجوزة الحجة آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني رحمه الله.

فقال الحسين عليه السلام:

خفقت برأسي خفقة فعن لي فارس يقول:

القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم.

فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا.

قال علي الأكبر عليه السلام:

يا أبت ألسنا على الحق؟

فقال الحسين عليه السلام:

بلى والذي إليه مرجع العباد.

قال علي الأكبر عليه السلام:

إذاً لا نبالي أن نموت محقين.

فقال الحسين عليه السلام:

جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده[1].

---

(١) الطبري: ج٦، ص٢٣١.

الأكبر إلى المشرعة

الماء عنصر حيوي لكافة الموجودات لا غنى عنه في الحياة واستقرارها كما أنبأ عنه سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ فالمولى جل شأنه شاء بلطفه وكرمه أن يكون الماء أصلاً لكل موجود في الكون وبه حياة كل دابة هو آخذ بناصيتها وبه قوامها ودوامها وجعله مباحاً للصادر والوارد وبهذا ينطق الحديث: الناس شرع سواء في الماء والكلأ.

فلا يصد عنه إلا كل لئيم العنصر خسيس المنتمى الذي لا يهمه الكيان البشري والبقاء القومي فلن تجد في قادة الحق ودعاة الشرائع من منع الماء عن مناوئيه ولن تسمع بهذا ممن يحمل شيئاً من الشهامة أو تحلى بيسير من الشرف.

نعم لما استولى معاوية على الماء بصفين منع أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام لكن قائد العظمة وإمام الهدى علي بن أبي طالب عليه السلام لما استرده من الظالمين بالسيوف الماضية أباحه للعدو والولي.

وهذه غريزة بني هاشم الأكارم وشنشنة بني أمية الأخساء في كل محتشد ومصطدم.

ولقد سقى الحسين الحر وأصحابه وهم زهاء ألف فارس وسقى خيولهم على حين أزمة شديدة وحراجة في الموقف، والماء في ذلك الحال أعز ما لديهم إلا أن نفسه القدسية وكرمه النبوي وعنصره الطيب الطاهر لم يدع له منتدحاً عن الفضل والجود بما هو أنفس الذخائر في تلك القفراء الجرداء وهنا تعرف أنّ [الإناء ينضح بما فيه] فإن هؤلاء الجمع لم تسمح نفوسهم الشريرة ومنبتهم السيّئ بالوفاء على المعروف ولم يغب عنهم فضل سيد الشهداء في ذلك المكان الذي تعز فيه الجرعة الواحدة فحالوا بين الماء الذي تلغ فيه خنازير [السواد] وكلابه وبين فئة المجد وعصبة الخطر من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم المضطهدين عندئذ وكانوا أشد العالمين حاجة إلى الروى وهم لباب الكون والغاية من الخلق ووسائط الفيض بين المولى سبحانه وبين عبيده.

غير أن الحكمة البالغة لم تدع لهم إلا التسليم للقدر الجاري والرضا بالقضاء الفاصل وواجب السير وراء الغاية الكريمة قطع عنهم الأخذ بالتدابير اللازمة من عاديات ومعاجز فالواقف على حالتهم لم يشاهد إلا قلوباً ولهى وأكباداً حرّى وأحشاءً كظَّها الظمأ فمن رضيع يتلظّى وطفل يصرخ وحرة تنتحب وحماة الحرائر على ما في أفئدتهم من معتلج الصدى نفوس مقسومة بين

الفرات الجاري وبين لهب أكباد العيال الواري فلا الحكمة تساعدهم على خرق ناموس الطبيعة لإرواء تلكم الصبية ولا الوسائل العادية تمكنهم من التسرب إلى ذلك النمير الذي حلَّأُوهم عنه.

فكان ورد الردى أهنأ عندهم من كل ما لذ وطاب كيف وهم أُباة الضيم وحماة العقائل والكفاة في كل نازلة.

ولعل من هذا البيان يسعك التعرف لتلكم الشدائد المدلهمة والأزمة الملمة بربات خدور الرسالة ومبلغ حاجتهن إلى هذا المباح الجاري الذي منع عنه أعز الخلق وأشرفهم أرومة وسيد شباب أهل الجنة ومبلغ لؤم الأمويين المحلِّئين أُولئك الصفوة عنه في أحرج المواقف ومبلغ الفضل والمثوبة لمن أمكنته الفرص لإغاثة القوم بشربة من ماء علاوة على ما في مطلق السقاية من أجور جزيلة.

نعم تمكن من هذه الفضيلة الرابية ولو في هنيئات معدودة [علي الأكبر]عليه السلام.

ففي حديث الصادقعليه السلام أن الحسين أرسله في اليوم الثامن مع ثلاثين فارساً إلى الماء فخاضوا لجج الجيش اللهام ولم يثنِ عزمهم الحرب الدامية والجلاد المنهك مورين لهب القتال المبير مقتدحين زنادها المضطرم مجللين ليل القسطل الحالك جالين

ذلك العثير المتراكم بشهب السيوف وبعد جهاد متواصل ملكوا المشرعة وملأُوا أسقيتهم وعادوا إلى المخيم و[شبيه النبي] يود إيصال الماء قبل وصوله ويسمح أن تسيل نفسه دون قطرة منه.

أنا لا أدري أنّ حرم الرسالة بأيهما أسرّ أبعود شمس النبوة أم بالحياة الجديدة المستردة بتلك الأسقية وهل عينها بالنظر إلى ذلك المحيّا الأبهج أقرّ أو ببلوغ الأمنية من وصول الماء إليهن.

ولكن لا يفوت القارئ البصير أن هذه الكمية القليلة من الماء ما عسى أن تجدي هؤلاء الجمع الكثير الذين يزيدون على المائتين فسرعان أن عاد إليهم الظمأ وإلى الله المشتكى.

الأكبر في ليلة عاشوراء

كانت هذه الليلة أعظم ما مر على آل الرسول لأنها حفت بالمكاره والمحن وآذنت بالخطر وأشعرت بالرهبة أجنت على مكثورين قطعتهم الحالة القاسية عن الوسائل الحيوية كلها وأعوزهم حتى الماء أضف إليه البأساء السائدة في حرم النبوة من رعب شامل وانكسار مؤلم وانقطاع عن المدد ويأس من الانتصار وعطش مرمض وهمّ مدلهم وشجو مبرح يسمعن مخدرات الإمامة ضوضاء الرجال وصهيل الخيل من جانب وصراخ الصبية من ناحية ويبصرن لوائح النصر لغيرهم والابتهاج بالظفر في مناوئيهم.

إذاً فما حال رجال المجد من بني هاشم بين تلكم الكوارث فهل أبقت لهم مهجة ينهضون بها أو أنفساً تعالج الحياة والحرب من غد.

نعم كانت ضراغمة [أبي طالب] والأباة الصفوة من الأصحاب حينئذ في أبهج حالة وأثبت جأش كأنهم نشطوا من

عقال بين مباشرة للعبادة وتأهب للقتال وكان لهم دويّ كدويّ النحل بين قائم وقاعد وراكع وساجد.

وبلغوا من الثبات على الحق وقوة الإيمان فيهم وشدة اليقين أنه لم يردعهم عن النهضة في وجه المنكر أي رادع ولا ألمّ بهم ندم أو فتور ولا دعاهم إلى التسلل عن سبط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى إن سيد الشهداء أطلق لهم السراح في هذه الليلة وأذن لهم في المفارقة.

فقال لهم هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وتفرقوا في سوادكم هذا وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي فإن القوم إنما يطلبونني ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري.

فابتدر أبو الفضل وعلي الأكبر قائلين: ولم نفعل ذلك؟ لا أبقانا الله بعدك وتابعهما الهاشميون والأصحاب الأكارم فجروا على ذلك أطفالاً وشباناً وكهولاً ومشيخة وهم على الحالة التي وصفناها.

فكان لعلي الأكبر بين تلكم المصاعب والأهوال الغارب والسنام من منصة المفاداة وموقف التضحية والسير الحثيث في سنن الإخلاص والابتهاج بما يرد عليه من السيوف المشحوذة والأسنة المشرعة والنبال المفوقة كل ذلك نصرة للحق وردّاً لعادية الضلال.

وفي بعض زيارات علي الأكبر عليه السلام ما يؤكده، يقول الإمام الحجة عليه السلام:

أشهد أنك من الفرحين بما آتاهم الله من فضله وهذه منزلة كل شهيد فكيف منزلة الحبيب إلى الله القريب إلى رسول الله زادك الله من فضله في كل لفظة ولحظة وسكون وحركة مزيداً يغبطه به أهل عليين يا كريم الجد يا كريم الأب يا كريم النفس[1].

(١) مزار البحار: ص١٧٣.

الشهادة

هذا مقام يرتج فيه على الخطيب بيانه ويعصي الكاتب قلمه فلا يدري أي ناحية يصفها وأي جانب يقف عليه فتتجه إليه الأوصاف من شتى النواحي من جهة بسالة الفقيد تلك البسالة المشهودة له والمعهودة منه أم من جهة تأثير فقده في المجتمع الديني وأخص منه الأُسرة الهاشمية وبالأخص عقائل بيت الوحي في ذلك المشهد الرهيب يوم فقدن أمل الآمل والمثل الكامل لمثال النبوة فقد كنّ يحسبنّه عماد أخبيتهن وحمى أمنهن ومعقد آمالهن بعد الحسين عليه السلام كما هو الشأن في الخلف الأكبر بعد كبير البيت لاسيما إذا كان جامع مآثر الأسرة من بطولة وشهامة وبسالة وفضائل وفواضل.

فلا عجب منهن إذا احتففن به حين يمم الحرب ولذن به وقلن ارحم غربتنا لأن هذه ترى هتاف الرسالة في وشك الانقطاع عن سمعها وتلك تجد مرآة الجمال النبوي في شفا الانكسار وأُخرى تشاهد الخلق المحمدي قد آذن بالرحيل إلى من تحسب به ثمال اليتامى وتغيب عنها عصمة الأيامى.

فليس من البدع حينئذ إذا لم ترقأ لهن عبرة ولا هدأت زفرة وهناك ناحية أُخرى أعظم وأشجى وهي تأثر السبط الشهيد بفقد المثل الجامع لكل فضيلة رابية وقد كان الحسين جد عليم بأن من يودعه إلى سفر لا رجوع بعده هو المظهر التام للحقيقة المحمدية ومرآة صافية للجمال الإلهي وآية من آيات الجلال الربوبي وأنه سيفقد فلذة كبده وشظية من شظايا الإمامة وبلجاً من أنوار الخلافة وستصبح سماء الدين بعده مظلمة ومستوى العظمة موحشاً.

نعم، شاهد الحسين عليه السلام ولده العزيز عليه يخطو إلى الحرب والقتل أمامه واليأس من ورائه فلم يجد ندحة من أن أسأل مذاب قلبه من أجفانه «وأرخى عينيه بالدموع»[١] هاتفاً بعمر بن سعد[٢]: ما لك

---

(١) ابن نما في مثير الأحزان: ص٣٥.

(٢) أشار أبيّ الضيم بهذا الهتاف إلى الرحم الثابتة بين الأكبر وابن سعد فإن ليلى أم الأكبر وسعد بن أبي وقاص ولدا خالة لأن أم ليلى ميمونة بنت أبي سفيان كما في الإصابة: ج٤، ص١٧٨، بترجمة أبي مرة وأم سعد حمنة بنت أبي سفيان كما في الرياض النضرة: ج٢، ص٢٩٢..

واختلف في ولادة عمر بن سعد فابن عساكر يرجح ولادته على عهد النبي صلى الله عليه وآله لرواية ابن إسحاق أن أباه سعداً أرسل جنداً إلى الجزيرة بأمر عمر بن الخطاب سنة ١٩ وكان معهم ولده عمر ويحيى بن معين يختار ولادته سنة موت عمر بن الخطاب وحديث سيف يشهد له قال تزوج سعد ابن أبي وقاص يسرى بنت قيس بن أبي الكتم من كندة في زمان الردة فولدت له عمر وفي الرياض النضرة أمه بنت قيس بن معديكرب وفي =

قطع الله رحمك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله[١] فلا بارك الله فيك وسلط عليك من يذبحك على فراشك[٢].

ورفع شيبته المقدسة نحو السماء مشيراً إلى أن المتحلي بهاتيك الصفات الجميلة والمرتدي بأبراد الفضائل هو هذا الذي يحدوه الميثاق الأزلي إلى الحتف الصارم.

وقال: اللهم اشهد فقد برز إليهم أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسولك محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إلى وجهه[٣] اللهم امنعهم بركات الأرض وفرقهم تفريقاً ومزقهم

= منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد: ج٥، ص١١٣، وتذكرة الخواص: ص١٤١، وابن الأثير: ج٤، ص٩٤، ومثير الأحزان لابن نما: ص٢٥، أن أمير المؤمنين عليه السلام لقي عمر بن سعد وقال له: كيف بك يابن سعد إذا قمت مقاماً تخير فيه بين الجنة والنار فتختار النار وفي: ص٧٤، من كامل الزيارة لابن قولويه أن أمير المؤمنين أخبر سعد بن أبي وقاص بأن ولده عمر يقتل الحسين عليه السلام وفي ابن الأثير: ج٤، ص٩٤، أن عبد الله بن شريك يقول: أدركت أصحاب الأردية المعلمة وأصحاب البرانس السود إذا مر بهم عمر بن سعد قالوا هذا قاتل الحسين وذلك قبل أن يقتله وفي تاريخ أبي الفدا: ج١، ص١٩٥ في سنة ٦٦ في ذي الحجة قتل المختار عمر بن سعد وابنه حفصاً.

(١) اللهوف: ص٦٣ صيدا.

(٢) تظلم الزهراء: ص١١٦.

(٣) اللهوف.

تمزيقاً واجعلهم طرائق قدداً ولا ترضِ الولاة عنهم أبداً فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا.

وتـــلا: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[1].

يريد أن فقيد بيت النبوة من تلك الذرية الطيبة وشلو من أشلاء الإمامة قادم على عصبة لا ترقب فيه إلّاً ولا ذمة.

وإنما صدر منه هذا الهتاف ليعلم الملأ الديني مدى العصور الواعين كلمته الذهبية مبلغ القوم من القساوة والشقاء ومبلغ ولده من المفاداة والتضحية في سبيل الدين وليعلموا أن ديناً يفتدى بهذا الفداء الثمين آثر شيء للاعتناق به وبطبع الحال يقتص أثره كل من يفقه هذا النداء البليغ ولا يفوت من يدرس هذا التعليم أن شريعة الحق تفتدى بأعز ما في الكون ويستهلك دونها أهم الذخائر.

كما أن فيه إشادة بذكر الفقيد وبيان فضله بتقريب أن الذي يبذل نفسه في النهضة الإلهية لإنقاذ البشر ولهداية الأجيال من بعده هو هذا الإنسان الكامل المتفرع من الدوحة النبوية الذي يجب أن يكون قدوة الأمم وأن تكون أُسوتهم به في التضحية والمفاداة وفي كل مأثرة كريمة.

---

(١) تظلم الزهراء: ص١١٦.

تقدم «علي الأكبر» إلى النزال أو أن شمس النبوة بزغت في أفق الميدان فما راع جماهير الطغام إلا جمال محمد في جلال علي وعصمة فاطمة وبسالة السبط الشهيد ولم يشعروا أهو الأكبر يطرد زمر الأعداء أم أن الوصي جده يزأر في الميدان أم أن الموت الزؤام أنشب فيهم أظفاره أم أن الصواعق تتراءى في بريق سيفه فهم بين مندهش وخائر ومكبر وذاكر ومنتكص على عقبيه غير شاعر وصريخة بني هاشم يضرب فيهم قدماً لا يلوي على أحد معرباً عن نسبه تارة وعن مأربه أُخرى وعن موقف بأسه طوراً حيث يقول:

أنا علي بن الحسين بن علي نحن ورب البيت أولى بالنبي
تالله لا يحكم فينا ابن الدعي أضرب بالسيف أحامي عن أبي
ضرب غلام هاشمي قرشي[1]

فلم يفتأ مغيراً في وجوه القوم يحمل على الميمنة ويعيدها على الميسرة ويغوص في الأوساط فلم يقابله جحفل إلا رده ولا شجاع إلا قتله حتى أُنهي المقتول بسيفه إلى المائة وعشرين بطلاً[2] غير

---

(١) الأبيات بتمامها في إرشاد المفيد وزاد ابن شهراشوب في المناقب بعد الرابع: «أطعنكم بالرمح حتى ينثني» ولم يذكر الطبري: ج٦، ص٢٥٦، غير الثلاثة الأولى.

(٢) هذا في تظلم الزهراء: ص١١٧، وعند ابن شهراشوب قتل سبعين وفي =

مكترث بتكاثر الجيوش عليه شنشنة سلفه الأطهرين في المآزق الحرجة.

يرمي الكتائب والفلا غصت بها في مثلها من بأسه المتوقد
فيردها قسراً على أعقابها في بأس عريس العرينة ملبد

غير أن كثرة الجراح ونزيف الدماء وشدة الأوام لم تترك له بقية يساور بها الرجال ويباشر الحرب العوان ههنا اشتد به الشوق إلى لقاء ربه فراقه توديع أبيه والتزود من محيّاه.

ويؤوب للتوديع وهو مكابد لظما الفؤاد وللحديد المجهد
صادي الحشا وحسامه ريان من ماء الطلى وغليله لم يبرد
يشكو لخير أب ظماه وما اشتكى ظمأ الحشا إلا إلى الظامي الصدي
فانصاع يؤثره عليه بريقه لو كان ثمة ريقه لم يجمد
كلٌ حشاشته كصالية الغضى ولسانه ظمئاً كشقة مبرد

هنالك طفق يشكوه الحالة وما انتابه من مضاضة الحرب والضرب وما تلظت به حشاشته من صالية الحر واحتدام العطش فقال: العطش قتلني وثقل الحديد أجهدني فهل إلى شربة من ماء سبيل أتقوى بها على الأعداء[1].

= روضة الواعظين: ص١٦١، قتل عشرة ورجع إلى أبيه.

(١) اللهوف.

شكوى لم يقصد بها إلا بثها وأنه قد ناء بما وجب عليه على قدر وسعه وطاقته وأنه لم يفتر عن ذلك حتى بلغ منه اللغوب على حين أنه لا سبيل إلى ماء يقويه على مكافحة الأعداء فالاستفهام إنكاري قصد به المعذرة عن القيام بمثل ما تقدم منه في المستقبل.

أو أنه أراد من أبيه الإمام الشهيد عليه السلام إيجاد الماء على سبيل الإعجاز المقدر له لكن الحسين عليه السلام أبى إلا أن يمضي ولده على حال أربى في نيل الجزاء وآثر عند الجليل عز شأنه يوم الخصام وهو القتل مظلوماً ممنوعاً من الورود فطمنه بوصوله الغاية في الخدمة وبشره بأزوف الشروع بدور الجزاء ومفتتح ذلك أن جده المنقذ الأكبر صلى الله عليه وآله وسلم سيسقيه بكأسه الروية فلا يظمأ بعدها أبداً[1] ثم أعطاه خاتمه ليضعه في فمه[2].

فعرج (علي الأكبر) إلى الميدان وملء جوانحه بهجة ومسرة

---

(١) ابن نما في مثير الأحزان: ص٣٥.

(٢) مقتل العوالم: ص٩٥، وفي معاهد التنصيص: ج٢، ص٥١، أن يزيد بن مزيد الشيباني لما لحق الوليد بن طريف وأجهده العطش وضع خاتمه في فمه وتبع الوليد حتى طعنه بالرمح وهذا يستعمله المسافرون إذا بلغ منهم اللغوب ومن لم يجد الخاتم يضع الحصاة ونحوها وبذلك جاءت أحاديث أهل البيت عليهم السلام ففي الكافي للكليني عن الصادق عليه السلام لا بأس للصائم أن يمص الخاتم وبه أفتى العلماء بالجواز ولعل من أسرار وضع الخاتم ونحوه في الفم تسبيب عمل الغدد في الإفراز.

بتلك البشارة الصادقة وهو لا يدري حين يقاتل أهو يقابل البيض الصفاح أم الخود الرداح وهل يناطح المقانب أم يبشر بنيل الرغائب فزحف فيهم زحفه العلوي السابق حتى أكمل المائتين من القتلى[١].

ومذ انثنى يلقى الكريهة باسماً ... والموت منه بمسمع وبمشهد
لف الوغى وأجالها جول الرحى ... بمثقف من بأسه ومهند
حتى إذا ما غاص في أوساطهم ... بمطهم قب الأياطل أجرد
عثر الزمان به فغودر جسمه ... نهب القواضب والقنا المتقصد

هنالك أتيحت له الأمنية باقتراب المنية حين علا هامته المطهرة[٢] سيف مرة بن منقذ العبدي[٣] ثم طعنه في ظهره[٤] فاعتنق فرسه واحتمله إلى معسكر الأعداء فقطعوا جثمان النبوة بأسيافهم إرباً[٥].

---

(١) تظلم الزهراء: ص١١٧.
(٢) مقتل العوالم: ص٩٥.
(٣) هذا في ابن الأثير: ج٤، ص٣٠، والأخبار الطوال: ص٢٥٤، وإرشاد المفيد وابن نما في اللهوف وزاد ابن جرير في التاريخ: ج٦، ص٢٥٦، منقذ بن النعمان العبدي ثم الليثي وأما في مقتل العوالم: ص٩٥، فنص على أنه منقذ بن مرة.
(٤) ابن شهراشوب: ج٢، ص٢٢٢.
(٥) مقتل العوالم: ص٩٥.

ومحا الردى يا قاتل الله الردى منه هلال دجىً وغرة فرقد
يا نجعة الحيين هاشم والندى وحمى الذمارين العلا والسؤدد
كيف ارتقت همم الردى لك صعدة مطرورة الكعبين لم تتأود
أفديه من ريحانة ريانة جفت بحر ظمأً وحر مهند
بكر الذبول على نضارة غصنه إن الذبول لآفة الغصن الندي
للَّه بدر من مراق نجيعه مزج الحسام لجينه بالعسجد
ماء الصبا ودم الوريد تجاريا فيه ولاهب قلبه لم يخمد
لم أنسه متعمماً بشبا الظُبى بين الكماة وبالأسنة مرتدي

ولم يفته في آخر نفس لفظه أن ودع أباه بالسلام عليه تحت مشتبك النصول منادياً إياه ومبشراً بإنجاز الوعد بقوله: هذا جدي يقرأ عليك السلام[١] وقد سقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبداً وهو يقول إن لك كأساً مذخورة[٢].

وعندئذٍ لم يملك نفسه دون أن هب إلى فلذة كبده هبوب الريح عساه يقف على بقية منه يتمتع بالنظر إليها ويتحظى بلفظه الدري فرأى الظن مخفقاً والأمل لم يقترن بالإنجاز ووجد شلو الرسالة منبوذاً على الصعيد تنتاشه المرهفات وتطعمه أسنة الرماح فألقاه الوجد المحتدم ولوعته المعتلجة على بضعته المتلاشية

---

(١) رياض المصائب: ص٣٢١.
(٢) مقتل العوالم: ص٩٥.

واضعاً خده على خده[١] يستاف منه عبق النبوة ويشم ريحانة العصمة حيث فاته التوديع وبه رمق الحياة وقال:

على الدنيا بعدك العفا ما أجرأهم على الرحمن وعلى انتهاك حرمة الرسول[٢].

متأثراً بفقده تارة وبعدم تمكنه من إمداد مثله أُخرى فلم تزل الزفرات منه إلى صعد والعبرات في صبب يتجرعها غصصاً طوراً ويلفظ ما في نفسه من لوعة أُخرى فيقول:

يعز على جدك وعمك وأبيك أن تدعوهم فلا يجيبوك وتستغيث بهم فلا يغيثوك[٣].

ثم أخذ بكفه من دمه الطاهر ورمى به إلى السماء فلم يسقط منه قطرة[٤].

هذا والوحدة العنصرية لا تسيغ له مفارقته ومهمة الحرب تحدوه إلى النهوض فلم يزل بين جاذبة ودافعة حتى أنهضه واجب الأخذ بالترات لكن بلا مهجة تقويه على الكفاح ولنفسه القدسية

---

(١) رياض المصائب: ص٣٢١، واللهوف.
(٢) تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٥٦.
(٣) مقتل العوالم: ص٩٥.
(٤) كامل الزيارة لابن قولويه: ص٢٢٢.

نزوع إلى الالتحاق بولده المحبوب وقد اسود الفضاء بعينه وأكدت الآمال.

وحيث لم يجد الحسين من نفسه قوة لحمل ذلك المتقطع من كبده، المتشظي من روحه، المنفصل من حياته، أمر فتيانه بحمل شلوه المبضع إلى الفسطاط الذي أعده للقتلى من آله وصحبه[١].

فجاء به الفتية وحرائر بيت الوحي ينظرن إليه محمولاً قد جللته الدماء بمطارف من العز حمراء وقد وزع جثمانه الضرب والطعن فاستقبلنه بصدور دامية وشعور منشورة وعولة تصك سمع الملكوت وأمامهن عقيلة بني هاشم «زينب الرزايا» صارخة نادبة فألقت بنفسها عليه تضم إليها جمام نفسها الذاهب وحمى خدرها المنثلم وعماد بيتها المنهدم[٢].

لهفي على عقائل الرسالة لما رأينه بتلك الحالة
علا نحيبهن والصياح فاندهش العقول والأرواح

---

(١) الطبري: ج٦، ص٢٥٦.

(٢) قال الطبرسي في إعلام الورى: ص١٤٥: خرجت زينب تصيح يابن أخاه فردها الحسين إلى الفسطاط الذي يقاتلون أمامه ا هـ، وطبع الحال يقضي بأن النسوة شاركنها في الحسرة والزفرة وإقامة المأتم على مثال النبوة لأنها المتكفلة بحياطة الحرم والمسكنة لفورتهن فإذا أدهش العميد هول المصاب فكيف بالفواقد المستعرة أكبادهن بنيران الفوادح.

ناحت على كفيلها العقائل والمكرمات الغر والفضائل
لهفي لها إذ تندب الرسولا فكادت الجبال أن تزولا
لهفي لها إذ فقدت عميدها وهل يوازي أحد فقيدها
ومن يوازي شرفاً وجاها مثال ياسين شبيه طاها
يا ساعد الله أباه مذ خبا نيره «الأكبر» في ظل الظُبا
رأى الخليل في منى الطفوف ذبيحه ضريبة السيوف

الدم الطاهر

حدث ابن قولويه في «كامل الزيارة» ص **٢٢٢** عن رجال أجلاء ثقات ومشايخ في الحديث أثبات[١] عن أبي حمزة الثمالي أن أبا عبد الله الصادق عليه السلام قال له:

إذا أردت المصير إلى قبر الحسين فصم يوم الأربعاء والخميس والجمعة إلى أن قال عليه السلام:

ثم صر إلى قبر علي بن الحسين فهو عند رجلي الحسين فإذا وقفت عليه فقل:

«السلام عليك يابن رسول الله ورحمة الله وبركاته مضاعفة كلما طلعت شمس أو غربت السلام عليك وعلى روحك وبدنك

---

(١) إن شيخنا الحجة المجاهد ميرزا عبد الحسين الأميني أيده الله صاحب «الغدير في الإسلام» ذلك الكتاب المفعم بالتحقيقات المعرب عن جهد المؤلف ترجم رجال السند في هامش كامل الزيارة الذي سعى في طبعه ونشره فجزاه الله خيراً عن هذه الخدمات الجليلة.

بأبي أنت وأمي من مذبوح من غير جرم بأبي أنت دمك المرتقى به إلى حبيب الله بأبي أنت وأُمي من مقدم بين يدي أبيك يحتسبك ويبكي عليك محترقاً عليك قلبه يرفع دمك بكفه إلى عنان السماء لا يرجع منه قطرة ولا تسكن عليك من أبيك زفرة».

والظاهر من الفقرة الأولى «المرتقى به إلى حبيب الله» أن هنالك موكلون برفع الدماء الطاهرة إلى مبوَّأ الرسول الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم وهو كفعل الإمام الحكيم أبي عبد الله الحسين عليه السلام من رمي دم «الأكبر» الزاكي إلى ملأ القدس فإنه لا يكون إلا على وفق المصلحة والحكمة البالغة وإن خفيت علينا حيث لم ندرك المصالح الواقعية وقد صدر منه مثله في دم ولده «الرضيع» كما في حديث أبي جعفر الباقر عليه السلام ونطقت به زيارة الناحية:

«السلام على عبد الله الرضيع المرمي الصريع المصعد بدمه إلى السماء لعن الله قاتله حرملة بن كاهل الأسدي».

وقد فعل عليه السلام كذلك بدمه الطاهر فإنه لما رمي بالسهم المثلث وضع يده تحت الجرح فلما امتلأت رمى به نحو السماء فلم تسقط منه قطرة[1].

ولعل من حكمته أن هاتيك الدماء كانت من أنفس ذخائر آل

---

(١) كشف الغمة: ص١٨٩، والإتحاف: ص٤١.

محمدﷺ وأقوى حججهم في الملأ الأعلى ويوم القيامة على أعدائهم ولإنقاذ شيعتهم فإن مطلق دم الشهادة له ميزة خاصة ينتفع به الشهيد المقتول دون الدعوة الإلهية وقد نص الحديث في شهداء أُحد أنهم يحشرون يوم القيامة وجروحهم دامية كلون الدم وريح المسك[١].

وليس ذلك لخصوصية في شهداء أُحد بل كل شهيد في سبيل الدين يحاجّ بدمه وقد ورد أن أمير المؤمنينعليه السلام أمر أن يدفنوا من استشهد معه يوم [الجمل] بثيابهم ودمائهم ليحاجّوا بها[٢].

ونص المؤرخون أن حجر بن عدي قال: ادفنوني بثيابي فإني أُخاصم بها.

وينص الحديث على أن ابن عباس رأى في المنام رسول اللهﷺ يوم عاشوراء أشعث مغبر وبيده قارورة فيها دم، فقال له: ما هذا الدم؟ قالﷺ: هذا دم الحسين لم أزل ألتقطه منذ اليوم[٣]، وفي آخر عنه رأى بيده قارورتين فسأله عما فيهما قال النبيﷺ: هذا دم الحسين وأصحابه التقطّه هذا اليوم[٤].

---

(١) السيرة الحلبية: ج٢، ص٦٧، وشرح السير الكبير لمحمد بن أحمد السرخسي: ج١، ص١٥٥.

(٢) كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص١٩٥، ط ثانٍ.

(٣) مقتل العوالم: ص١٧١.

(٤) كشف الغمة: ص١٨٩، والإتحاف بحب الأشراف: ص٤١.

ويحدث الصدوق في [الأمالي] عن الإمام الصادق عليه السلام أن الله سبحانه وتعالى بعث ملكاً معه قارورة خضراء يلتقط فيها دم الحسين عليه السلام.

وإنما خص الحسين عليه السلام ولديه الشهيدين بهذه الميزة لما احتف بهما من خصوصيات لم يشاركهما فيها أحد من ضحايا ذلك المشهد الكريم.

أما السيد الرضيع فلم يبح قتله أي شريعة وناموس ولم يسغ الإجهاز عليه مروءة أو حفاظ وإن كان أهل الطفل وذووه أشقى العالمين لأنه لا ذنب عليه ولا يمكن أن ينوء بظلامة أو يجترح سيئة إلا أن يريد قاتله استئصال شأفة قومه واجتياح أصولهم وهو الذي أرادته بنو أُمية في قتل بضعة الرسول وهي جريمة لا تعادلها أي جريمة.

وأما السيد الأكبر فهو البقية الفذة من آل الرسول لشبهه به خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً وهو معقد الآمال لهم وللملأ الديني للنهوض بالأمور العظام لصالح الدين والمسلمين من بث خلق النبي الكريم وهو مرآة جماله ومنبثق أنوار علومه ومن قود العساكر وعقد بنود الرايات وسد الثغور وإقامة الأمت والعوج فبقتله أخفقت الظنون وأكدت الآمال ومن يفعل ذلك فقد جاء بحوب عظيم لا يماثله شيء من الذنوب.

إذاً فلهاتيك الدماء المراقة بتلك الصفة منزلة كبرى تتم بها الحجة وتقوم بها الشفاعة لم يحزها أي دم مراق ظلماً إلا ما حاذاها في ذلك المستوى الممنع «كدم أبي الفضل» المرفوع وهامته المرضوخة بعمد الحديد ودماؤه السائلة ويداه المقطوعتان المعوض عنهما بجناحين يطير بهما مع الملائكة إلى حظائر القدس فيرمقه عالم الملكوت بعيون دامية فيلعنون قاتليه وظالميه ويستغفرون لشيعته الذين لإنقاذهم استسهل هو وآله تلكم المصاعب.

وفي بعض الروايات أن ما تحتج به فاطمة الزهراء يوم الحساب يدا أبي الفضل عليه السلام[١] وثنية أبيها المصطفى وثوب الحسين المخرق بالنبال والسيوف[٢].

أما الاحتفاظ بدم السبط الشهيد أبي عبد الله عليه السلام فإن الحقيقة النورانية لمحمد والمعصومين من آله لما كانت هي العنصر الزاكي في الحياة دينياً وأخلاقياً ومدنياً وحيوياً لأنهم وسائط الفيض الإلهي فلا غنى لأي موجود عنهم في نشأته وبقائه واستفادته من «المبدأ الأعلى» جل شأنه لأنهم وسائل الحياة وسائل الإفاضة، وسائل النجاة في هذه الدنيا والآخرة يوم تنصب الموازين.

---

(١) جواهر الإيقان: ص١٩٤.

(٢) أسرار الشهادة: ص٢٣٤.

وقد ورد عنهم عليهم السلام في أحاديث كثيرة متواترة الإشارة إليه وفي الزيارة الجامعة: «بكم فتح الله وبكم يختم وبكم ينزل الغيث وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه وبكم ينفس الهم وبكم يكشف الضر».

وقد جعل الله تعالى الأئمة من ذرية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم رحمة منه على العباد غير أنه جل شأنه بلطفه وعميم فضله نوع تلكم الوسائل المكونة فيهم حتى يتوصل كلٌ بما تيسر له منها فمن ناجٍ بولايتهم ومن مستفيد عنهم طريق المحاججة ومن رابح بنشر فضائلهم ومن متقدم بالدعوة إليهم إلى متزلف بتعظيم شعائرهم.

وكل هذا في الحسين أكثر وشعبها فيه أوفر وفيه أنواع من الوسائل اختصه الله بها وحباه بالفضل الكثير فجعل الإمامة في عقبه والشفاء في تربته وإجابة الدعاء عند قبره وأنّ أيام زائريه لا تعد من العمر ذهاباً وإياباً والحسنة في زيارته تتضاعف إلى ألف ألف والسيئة بواحدة فكان الإمام عليه السلام يقول:

أين الواحدة من الألف ألف والدرهم المنفق في الخروج إليه والمنفق عنده مدخر له يوم القيامة بعشرة آلاف ويخلف الله تعالى على من جهز إلى زيارته أضعاف ما أنفق مضافاً إلى ما ادخره له من الأجر في الآخرة.

وإن لله سبحانه ملائكة يزاحمون الزائرين على القبر

ويمسحون بأيديهم وجوههم ويسمونهم بميسم من نور يعرفون به يوم القيامة يكون سبباً لنجاتهم.

وأما السبعون ألف ملك الذين نزلوا لنصرته فوجدوه مقتولاً وأمرهم سبحانه بالبقاء عند قبره فإن صلاتهم للزائرين ولصلاة الواحد منهم تعدل ألف صلاة من الآدميين.

وينزل الله على زواره كل غدوة وعشية من طعام الجنة وإن مات الزائر في سفره إليه حضرت ملائكة الرحمة غسله وكفنته فوق أكفانه وشيعته إلى قبره وفرشت له الريحان واستغفرت له ودفعت الأرض من قبل رأسه ومن بين يديه ومن خلفه وأُدخل عليه ريح طيب وأمن من ضغطة القبر وسؤال منكر ونكير وجيء عند خروجه من القبر بنور يضيء مثل ما بين المشرق والمغرب ومنادٍ ينادي هذا من زوار الحسين شوقاً إليه فلا يبقى أحد ممن لم يزره إلا تقطعت نفسه حسرة[1] إلى غير ذلك من خصائص امتاز بها على غيره من أئمة الهدى تعويضاً عن شهادته وتضحيته دون الدين الحنيف.

إذا فمن القريب جداً أن يجعل الله لكل من توصل إلى شيء من وسائله المنقذة يوم القيامة وساماً يميزه عن عامة الناس يكون مفخرة له وإظهاراً لفضل الإمام الحجة المراق دمه الطاهر على مجزرة الشهادة.

---

(١) هذه الآثار إلى غيرها ذكرها العلامة المجلسي في مزار البحار.

ولعل من هذا القبيل الاحتفاظ بدمه الأقدس إلى يوم المعاد ليكون سبباً لإنقاذ أوليائه الذين تزلفوا إليه بالمبيت ليلة عاشوراء عند قبره حتى الصباح فهو حاجز بينهم وبين النار وليس هذا بعزيز في حيز القدرة الإلهية.

وذكر الشيخ المفيد أعلى الله مقامه أنه جاء عن أهل البيت عليهم السلام أنه من بات عند الحسين ليلة عاشوراء حتى يصبح حشره الله ملطخاً بدم الحسين في جملة الذين استشهدوا معه.

وناهيك رفعة وجلالة بمن يتلطخ بدنه بدم المظلوم ويحشر في جملة الشهداء نيِّراً وجهه تحفه الملائكة المقربون ويغبطه جميع المؤمنين.

ومن هنا كان الشيخ الجليل الثبت الشيخ جعفر الشوشتري يقول في [الخصائص الحسينية] إن المبيت عند الحسين في هذه الليلة أفضل من الجهاد.

أولاً: إن المجاهد ربما لا تحصل له الشهادة والمائت عند الحسين في هذه الليلة يحصل له ثواب الشهادة قطعاً.

ثانياً: إن الشهادة إذا حصلت للمجاهد فإنما هي دفعة واحدة بخلاف المبيت عند الحسين فإنه يحصل به ثواب الشهادة كلما تكرر منه في السنين.

ثم إنه ورد الحديث بأن الحسين يحشر وأوداجه تشخب دماً

كما جاء في حديث آخر أن الحسين يقوم يوم القيامة مخضباً بدمه ومعه جميع من استشهد في الطف من أهل بيته وأصحابه مخضبين بدمائهم[١].

وإذا جاز إبقاء الدم الطاهر في أوداجه الزاكية فمن الجائز القريب أن يوفره المولى سبحانه ويبسطه فيصبغ به وبتلك الدماء المرفوعة إلى الملأ الأعلى من بات في ذلك المشهد المطهر في تلك الليلة التي هي أحرج الليالي على آل محمد ومن توسل إلى سيد الشهداء بأنواع من الوسائل الموجبة للزلفى والسعادة الخالدة تشريفاً لأُولئك المضطهدين في سبيل مرضاة رب العالمين وإنقاذاً لشيعتهم من هوة الهلكة.

(١) البحار: ج١٣، من حديث المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام.

الدفن

ذكر المؤرخون أن سيد الشهداء عليه السلام أفرد خيمة في حومة الميدان[١] يحمل إليها من قتل من صحبه وأهل بيته وكلما يؤتى بشهيد يقول أبو عبد الله: قتلة مثل قتلة النبيين وآل النبيين[٢].

إلا أخاه العباس تركه في محل سقوطه قريباً من المسناة[٣] لسر دقيق ولنكتة لا تخفى على المتأمل المستشرف للحقائق بنظر

---

(١) الطبري: ج٦، ص٢٥٦، وابن الأثير: ج٤، ص٣٠.

(٢) حكاه في البحار: ج١٠، ص٢١١، وج١٣، ص١٣٥، عن غيبة النعماني.

(٣) نص عليه المفيد في الإرشاد والطبرسي في إعلام الورى: ص١٤٧، والسيد الجزائري في الأنوار النعمانية: ص٣٤٤، والداودي في عمدة الطالب: ص٣٤٩، النجف والشيخ الطريحي في المنتخب والسيد في رياض الأحزان: ص٣٩.
وهو الظاهر من ابن إدريس الحلي في السرائر والعلامة الحلي في المنتهى والشهيد الأول في المزار والأردبيلي في شرح الإرشاد والسبزواري في الذخيرة والشيخ أغا رضا الهمداني في مصباح الفقيه فإنهم نقلوا كلام الشيخ المفيد في الإرشاد ساكتين عليه.

صحيح وهو أن يكون له مشهد يقصد بالزيارات ومرقد يؤمه ذوو الحاجات فتظهر له الكرامات وتعرف الأمة حق قدره ومنزلته عند الله سبحانه فشاء حجة الله ووليه عليه السلام كما شاء المولى الجليل عز شأنه وأراده من أن تكون منزلة «أبي الفضل» الظاهرية شبيهة بالمنزلة المعنوية الأخروية فكان كما شاءا وأحبّا.

ولو حمله سيد الشهداء إلى الحائر الأقدس كالشهداء لغمره فضل الإمام الحجة كما غمر غيره ولم تظهر له هذه المنزلة السامية التي ضاهت منزلة الحجج المعصومين عليهم السلام.

ولما ارتحل عمر بن سعد بحرم الرسالة إلى الكوفة ترك أولئك الذين وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام بأنهم سادة الشهداء في الدنيا والآخرة[١] ولم يسبقهم سابق ولا يلحقهم لاحق[٢] على وجه الصعيد تصهرهم الشمس ويزورهم وحش الفلا:

قد غير الطعن منهم كل جارحة إلا المكارم في أمن من الغير

وبينهم سيد شباب أهل الجنة بحالة تفطر الصخر الأصم ويرق لها العدو الألد غير أن الأنوار الإلهية تتصاعد من جوانبه والأرواح العطرة تفوح من نواحيه كيف لا وقد اشتق من دوح النبوة وارتضع در العصمة وتربى في حجر الخلافة العلوية.

---

(١) كامل الزيارة: ص٢١٩.

(٢) المصدر: ص٢٧٠.

ومجرح ما غيرت منه القنا حسناً ولا أخلقن منه جديدا
تحمي أشعته العيون فكلما حاولن نهجاً خلنه مسدودا

حدث رجل من بني أسد أنه جاء إلى المعركة بعد ارتحال العسكر فشاهد من تلك الجسوم المضرجة أنواراً ساطعة وأرواحاً طيبة ورأى أسداً هائل المنظر يتخطى تلك الأشلاء المقطعة حتى إذا وصل إلى هيكل القداسة وقربان الهداية تمرغ بدمه ولاذ بجسمه وله همهمة وصياح فأدهشه الحال إذ لم يعهد مثل هذا الحيوان المفترس يترك ما هو طعمة أمثاله ويشجيه المصاب فاختفى في بعض الأكم لينظر ما يصنع فلم يظهر له غير ذلك الحال.

ومما زاد في تحيره أنه عند انتصاف الليل رأى شموعاً مسرجة ملأت الأرض وبكاءً وعويلاً مفجعاً[١].

وفي اليوم الثالث عشر من المحرم أقبل زين العابدين لدفن أبيه الشهيد لأن الإمام لا يلي أمره إلا إمام مثله[٢] يشهد له

---

(١) مدينة المعاجز: ص٢٦٣، باب ١٢٧.

(٢) لم تكشف الأحاديث عن هذا السر المصون ولعل النكتة فيه أن جثمان المعصوم عند سيره إلى المبدأ الأعلى بانتهاء أمد الفيض الإلهي يختص بآثار منها أن لا يقرب منه من لم يكن من أهل هذه المرتبة وليست هذه الدعوى في الأئمة بغريبة بعد أن تكوّنوا من الحقيقة المحمدية وشاركوا جدهم النبي في المآثر كلها إلا النبوة والأزواج ويؤيد هذه الدعوى ما في=

مناظرة الرضا عليه السلام مع علي بن أبي حمزة البطائني قال له أبو الحسن الرضا أخبرني عن الحسين بن علي كان إماماً؟

قال: بلى.

قال الرضا عليه السلام: فمن ولي أمره؟

قال ابن أبي حمزة: تولاه علي بن الحسين السجاد.

قال الرضا عليه السلام: فأين كان علي بن الحسين؟

= أمالي الشيخ الطوسي: ص٩٥، من تعصيب عيني الفضل بن العباس لما كان يحمل الماء إلى أمير المؤمنين عليه السلام عند تغسيل النبي صلى الله عليه وآله فإن فيه التعليل بخشية العمى إن وقع نظره على جسده المقدس وهذا التعليل يدلنا على افتراق حال الموت عن الحياة وإلا فمن المقطوع به أن الفضل وغيره كانوا يرون جسد النبي الطاهر فمنع الفضل عن الرؤية في حال الموت لهذه الخصوصية.

وهذه أسرار لا تصل إليها أفكار البشر ولا سبيل لنا إلى إنكارها بمجرد بعدنا عن إدراكها ما لم تبلغ حد الاستحالة وقد نطقت الآثار الصحيحة بأن للأئمة أحوالاً غريبة ليس لسائر الخلق الشركة معهم فيها كإحيائهم الأموات بالأجساد الأصلية ورؤية بعضهم بعضاً وصعودهم بأجسادهم إلى السماء وسماعهم سلام الزائرين لهم وقد صادق على ذلك شيخنا المفيد في «المقالات»: ص٨٤، طهران والكراجكي في كنز الفوائد والمجلسي في مرآة العقول: ج١، ص٣٧٣، والشيخ الأكبر كاشف الغطاء في منهج الرشاد: ص٥١، والمحدث النوري في دار السلام: ج١، ص٢٨٩.

قال ابن أبي حمزة: كان محبوساً بالكوفة عند ابن زياد لكنه خرج وهم لا يعلمون به حتى ولي أمر أبيه ثم انصرف إلى السجن.

قال الرضا: إن من مكن علي بن الحسين أن يأتي كربلاء فيلي أمر أبيه ثم ينصرف يمكن صاحب هذا الأمر أن يأتي بغداد فيلي أمر أبيه وليس هو في حبس ولا أسر[١].

ولما أقبل السجادعليه السلام وجد بني أسد مجتمعين عند القتلى متحيرين لا يدرون ما يصنعون إذ لم يهتدوا إلى معرفتهم لأن القوم قد فرقوا بين رؤوسهم وأبدانهم وربما يسألون من أهلهم.

فأخبرهمعليه السلام عما جاء له من مواراة هذه الجسوم الطاهرة وأوقفهم على أسمائهم كما عرَّفهم بالهاشميين من الأصحاب فارتفع البكاء والعويل وسالت الدموع كل مسيل ونشرت الأسديات الشعور ولطمن الخدود.

ثم مشى زين العابدين إلى جسد أبيه واعتنقه وبكى بكاءً عالياً وأتى إلى موضع قبره ورفع قليلاً من التراب فبان قبر محفور وضريح مشقوق فبسط كفيه تحت ظهره وقال:

بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صدق الله ورسوله ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) إثبات الوصية للمسعودي: ص١٧٣، ط النجف.

وأنزله وحده ولم يشاركه بنو أسد فيه وقال لهم: [إن معي من يعينني] ولما أقره في لحده وضع فمه الشريف على منحره المقدس قائلاً: طوبى لأرض تضمنت جسدك الطاهر أما الليل فمسهد والحزن سرمد أو يختار الله لأهل بيتك دارك التي أنت بها مقيم وعليك مني السلام يابن رسول الله ورحمة الله وبركاته.

وكتب على قبره بيده: [هذا قبر الحسين بن علي بن أبي طالب الذي قتلوه عطشاناً غريباً].

ما إن بقيت من الهوان على الثرى ملقىً ثلاثاً في ربىً ووهاد
لكن لكي تقضي عليك صلاتها زمر الملائك فوق سبع شداد

ثم مشى إلى عمه العباس فرآه بتلك الحالة التي أدهشت الملائكة بين أطباق السماوات وأبكت الحور في غرف الجنان ووقع عليه يلثم نحره المقدس قائلاً على الدنيا بعدك العفا يا قمر بني هاشم وعليك مني السلام من شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته.

وشق له ضريحاً وأنزله وحده كما فعل بأبيه الوصي وقال لبني أسد: (إن معي من يعينني).

نعم ترك مساغاً لبني أسد بمشاركته في مواراة الشهداء وعيَّن لهم موضعين وأمرهم أن يحفروا حفرتين وضع في الأولى بني

هاشم وفي الثانية الأصحاب[١].

أما الحر الرياحي فأبعدته عشيرته إلى حيث مرقده الآن وقيل إن أمه كانت حاضرة فلما رأت ما يصنع بالقتلى من قطع الرؤوس ورض الأجساد حملت الحر إلى هذا المكان[٢].

---

(١) الكبريت الأحمر وأسرار الشهادة والإيقاد للعلامة الجليل السيد محمد علي الشاه عبد العظيمي رحمه الله.

(٢) الكبريت الأحمر: ذكر السيد نعمة الله الجزائري في الأنوار النعمانية: ص٣٤٥، أن الشاه إسماعيل الصفوي لما ملك بغداد وزار قبر الحسين عليه السلام أُخبر أن بعض العلماء يذهب إلى عدم صحة ما ورد من توبة الحر فأمر الشاه بالكشف عنه فرأوه بهيئته لما قتل وعلى رأسه عصابة فأراد الشاه أن يأخذها للتبرك بها فلما رفعوها عن رأسه سال الدم من الجرح وكلما عالج قطعه بغيرها لم يتمكن ولما عاودها إلى رأسه انقطع الدم ففرح الشاه بهذه المنقبة الباهرة وبنى على القبر قبة وعين خادماً ا هـ.

مرقد الأكبر

إن البرهنة الصحيحة في كل ما يفعله الإمام المعصوم الحكيم ترشدنا إلى مرجح فعلي من بيان حكم أو إشادة بذكر رجل أو إظهار فضيلة أو غاية كريمة أو مزية ظاهرة.

وإنا إذا نظرنا إلى فعل الإمام زين العابدين في وضع «علي الأكبر» قريباً من أبيه نعرف من ذلك الغرض الباعث له وهو تعريف الملأ الديني بما حواه [أبو الحسن] من مزايا جليلة وصفات فاضلة وأنه أقرب من أولئك الصفوة إلى المهيمن تعالى لما حواه من ملكات لا تدركها أحلام البشر.

وهناك شيء آخر لاحظه الإمام الحجة الواقف على نفسيات الرجال وتقدير أعمالهم ذلك أن هذه الحالة أشجى للقلوب وأذرف للدموع فأي مؤمن يقف بذاك الحرم القدسي لا يتمثل لديه [والد وما ولد] وما تضمنه ذانك القبران من شلو مبضع ودماء سائلة وجروح دامية ورأس محزوز وأصبع مفصول وجناجن طحنتها سنابك العاديات وأحشاء التهبت بالظمأ وقلب تشعب بالسهام.

وإلى جنبه بضعة الرسالة شبيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً مقطع بالسيوف إرباً إرباً . . .

وأنّ الإمام الشهيد عانى ما جرى على ولده وديعة «محمد» فينظر إليه معفراً على البوغاء ولم تدع المقاضب منه عضواً سالماً حتى فارقه أو فارق نفسه التي بين جنبيه ولم يسعه أن يغيثه بماء أو يردّ عنه عادية فوضع خده على خده ولم يرفعه إلا بدموع منهلة وزفرات متصاعدة.

فبطبع الحال يكون الموالي الماثل أمام الضريح المطهر معتلج الأشجان متدفق العبرة مرتفع العقيرة ويشتد ولاؤه ووده الذي هو أجر الرسالة.

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾.

ويحتدم إذ ذاك قلبه على كل من أوقع هذا الفادح الجلل وتستحكم البراءة منه ويتواتر منه اللعن عليه فيؤجر على تلكم الأحوال ويسعد بالنعيم الدائم ويؤوب إلى محله مغتنم الخير دنياً وآخرة.

ولعل من أسراره ما هو أدخل في غرض الإمام أبي عبد الله عليه السلام وآكد لغايته الكريمة من تلك النهضة التي أوضح فيها فظاعة الأمويين وقساوتهم البالغة حدها وأنهم بعداء عن التأهل لخلافة الإسلام فاقدون أي حنكة أو جدارة شرعية أو عرفية أو

إنسانية فيكون في تمييز «الأكبر» عن غيره من الشهداء بالقرب من أبيه لفت للأنظار إلى فضله وتذكير بما صنع به من الفجائع وأن كل أحد يتحرج عن ارتكابها مع كل أحد فضلاً عمن هو مرآة الجمال المحمدي وممثل خلقه العظيم ومنبثق منطقه القويم. . .

وأنّ المجترح لهذه السيئات خارج عن مجاري الناموس الإلهي خارج عن خطة الملكات الفاضلة خارج عن الحدود البشرية تنبذه تلكم الطقوس فليس له التأهل للاستحواذ على أمر الأمة المسلمة.

قال الإمام الصادق عليه السلام لحماد البصري:

إن الحسين بن علي غريب مدفون بأرض غريبة يبكيه من زاره ويحزن له من لم يزره ويحترق له من لم يشهده ويرحمه من نظر إلى قبر ابنه عند رجليه في أرض فلاة ولا حميم قربه ولا قريب ثم منع الحق وتوازر عليه أهل الردة حتى قتلوه وضيعوه وعرضوه للسباع ومنعوه شرب ماء الفرات الذي تشربه الكلاب وضيعوا حق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصيته به وبأهل بيته فأمسى مجفواً في حفرته صريعاً بين قرابته وشيعته بين أطباق الثرى قد أوحش قربه في الوحدة والبعد عن جده والمنزل الذي لا يأتيه إلا من امتحن الله قلبه للإيمان وعرَّفه حقنا.

ولقد حدثني أبي أنه لم يخلُ مكانه منذ قتل من مصلٍّ عليه من

الملائكة أو من الجن والإنس أو من الوحش وما من شيء إلا ويغبط زائره ويتمسح به ويرجو في النظر إليه الخير لنظره إلى قبره وإن الله ليباهي الملائكة بزائريه.

وأما ما له عندنا فالترحم كل صباح ومساء.

ولقد بلغني أن قوماً من أهل الكوفة وناساً من غيرهم يأتونه في النصف من شعبان فبين قارئ يقرأ وقاصّ يقصّ ونادب يندب ونساء يندبنه وقائل يقول المراثي.

فقال حمّاد: قد شهدت بعض ما تصف.

قال الصادق عليه السلام: الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا وجعل عدونا يطعن عليهم ويقبح ما يصنعون[1].

وهذا الدعاء من إمام الأمة شاهد على محبوبية ما تفعله الشيعة من المظاهر التي تؤيد دعوة أهل البيت عليهم السلام وتفيد الأمة درساً بالغاية التي ضحوا لأجلها كل ما لديهم من مال وحرمات حتى نفوسهم القدسية لأن في هذه المظاهر التي يقيمها الموالون لأهل البيت سواء كانت في أيام الأفراح أو الأحزان إحياءً لأمرهم وتثبيتاً لدعوتهم وتعريفاً للملأ الديني باستسهال كل غالٍ ونفيس في سبيل تأييدها.

---

(١) مزار البحار: ص١٢٤، عن كامل الزيارة.

وهزء الأغيار وسخرية الجاهلين بفوائدها من هذه الطائفة أو غيرها لا يرفع محبوبية هذه الأعمال وإلا لارتفع الأمر بالحج والصلاة ونحوها مما أوجب سخرية الغير ولذلك لم يبالِ المسلمون الأولون بهزء المشركين في السجود وسخرية اليهود بالأذان ومشوا على التعاليم النبوية قدماً ولم يثنِ من عزمهم شيئاً ولا أكدى لهم أملاً حرصاً على إظهار الحقيقة ونشر الدين الصحيح.

ولو كان عيب الأغيار وسخرية من لم يستضئ بنور الحقيقة مما يرتفع به رجحان هذه الشعائر المذهبية لوجب على الإمام المقيَّض لنشر الأحكام وإرشاد الضالّ تعريف الناس بترك ما يستلزم ذلك ولما دعا لشيعته بالخير ودعا على غيرهم ممن لم يرضَ بهذه الأعمال بالخيبة والخسران.

فيقول الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا وجعل في عدونا من يطعن عليهم ويقبح ما يصنعون.

ويقول: واللّهِ لحظِّهم أخطأوا وعن ثواب الله زاغوا وعن جوار محمد تباعدوا...

ولوجب عليه أن ينهى ذريحاً المحاربي عن الزيارة المستلزمة لسخرية ولده وأقاربه. وحيث أكد فعله بقوله عليه السلام:

[يا ذريح دع الناس يذهبون حيث شاؤوا وكن معنا]...

عرفنا رغبته في فعل هذه الأعمال.

أما دعاؤه وهو ساجد الذي يرويه معاوية بن وهب الذي يقول فيه:

(اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم خروجهم إلينا خلافاً منهم على من خالفنا فارحم تلك الصرخة التي كانت لنا وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا)[١].

فيفيدنا وثوقاً برغبتهم في ما تفعله الشيعة مما به إظهار مظلوميتهم وأحقيتهم للأمر.

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لأمير المؤمنين عليه السلام: إن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم كما تعير الزانية بزناها أولئك شرار أُمتي لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة[٢].

---

(١) رواه الكليني في الكافي وابن قولويه في كامل الزيارة: ص١١٦، وذكرناه بتمامه في مقتل الحسين: ص٣١.

(٢) فرحة الغري لابن طاووس: ص٦٣، طبع النجف.

الزيارة

غير خافٍ أن لنشر مآثر الرجال دخلاً في تقديم خطتهم واقتصاص أثرهم وإكبار مقامهم ومهما كان الإنسان أقرب إلى أوج العظمة يكون مبدؤه أدعى للتمسك به وغايته ألزم في التفاني لأجلها وأشدّ استحكاماً في الأفئدة وأكثر امتزاجاً في النفوس.

ومن ذلك تأبين رجالات كل أمة نظماً ونثراً مدحاً ورثاءً وعقد الحفلات لادكار مزاياهم حتى كأن الفقيد ماثل في القلوب بفضله شاخص نصب أعين السامعين بنفسه فلا يتناسى منه العهد مهما تليت مآثره وتذاكروا في أمره.

وإن في تأليف ألفاظ الزيارة المتلوة في مراقد الأنبياء وأئمة الدين عليهم السلام وفي مشاهد الأولياء توطيداً لنجاح دعوتهم ونشراً لتعاليمهم وإنها تأخذ بالعامل إلى أرقى سنام للإنسانية وتسلك به إلى ألحب طريق للقاء «الحق تعالى شأنه».

والزيارة وإن كانت حقيقتها الحضور عند المزور والسلام

عليه بأي لفظ كان ولا دخل للألفاظ الخاصة في حقيقتها كما يشهد به خبر ابن ظبيان عن الصادق عليه السلام وفيه:

إذا أتيت الفرات فاغتسل والبس ثوبيك ثم ائت القبر وقل: صلى الله عليك يا أبا عبد الله فقد تمت زيارتك[١].

وفي حديثه الآخر عن الصادق عليه السلام:

جعلت فداك إني كثيراً ما أذكر الحسين عليه السلام فأي شيء أقول؟ قال قل: السلام عليك يا أبا عبد الله تعيد ذلك ثلاثاً فإن السلام يصل إليه من قريب ومن بعيد[٢].

لكن مما لا ريب فيه أن مساعي الرجال مختلفة ومقادير أعمالهم متفاوتة ولا شك أن الأنبياء والأوصياء أرقى البشر في فضلهم والظاهر وورعهم الموصوف وعلومهم الجمة ومعاجزهم الخارجة عن حد الإحصاء فيكون المثول حول مراقدهم المقدسة بداعي الزلفى إلى المهيمن سبحانه مزيداً لهاتيك العقيدة ورسوخها.

والخطابات الخاصة أدخل في تحقق تلك الغاية من غيرها وحيث إن الأئمة المعصومين عليهم السلام أدلاء على الخير وأعرف الأمة

---

(١) أسرار الشهادة: ص١٤٦.

(٢) مزار البحار: ص١٥١، عن كامل الزيارة.

بنفسيات الرجال وما يحق لهم من إكبار وإجلال لأن الفضل لا يعرفه إلا أهله. . .

كان اللازم التمسك بأقوالهم الخاصة الحافلة بما يناسب مقام المزور وفضله وأعماله وما انتابه به من فوادح وكوارث بما لا يعرفه غيرهم.

ومن هنا ورد النهي عن اختراع الكلام في الدعاء والسر فيه أن مثول العبد أمام المولى سبحانه والتوسل إليه بإنجاح مآربه وبلوغ غاياته يستدعي الخطاب معه بما يليق بذلك المقام الأقدس والأئمة من آل الرسول هم الواقفون على أسرار ذلك المحل الأرفع العالمون بما يحق له ويليق به.

وحديث الصادق عليه السلام مع عبد الرحمن القصير يشهد له؛ قال له عبد الرحمن: إني اخترعت دعاءً فقال عليه السلام دعني من اختراعك فإذا نزل بك أمر فقل. . . وذكر الدعاء.

وقال الإمام الرضا عليه السلام لمقاتل: إذا نزل بك أمر فالبس أنظف ثيابك وقل. . . وذكر الدعاء[1].

وجاء رجل إلى الصادق عليه السلام وسأله أن يعلمه دعاءً للمهمات فقال عليه السلام قل: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك.

---

(١) ذكر الكليني الدعاءين في فروع الكافي في صلاة الحوائج.

فقال الرجل: يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك.

فقال عليه السلام: قل كما أقول وإن كان الله مقلب القلوب والأبصار.

والنهي عن الإتيان بهذه الزيادة في الدعاء يدلنا على معرفة الإمام بما في التأليف الخاص من السبب الموجب لاستنزال الرحمات الإلهية بحيث يكون الزائد على تأليفه موجباً للخلل في تحقق الغاية المتوخاة.

على أن المقتدي بأقوال أهل البيت عليهم السلام والعامل بالمأثور من خطابهم لا يفوته الأجر الزائد على ما قرر لأصل الزيارة كما يشهد به حديث جابر الجعفي عن الصادق عليه السلام قال: إذا وقفت على باب الحائر فقل هذه الكلمات فإن لك بكل كلمة كفلاً من رحمة الله، ثم ذكر الزيارة[1].

وإلى القارئ الكريم نرفع ما ورد عن الأئمة الهداة من الألفاظ الخاصة في زيارة علي الأكبر فإن منها نتعرف مقامه عندهم الذي استحق به إفراده عن الشهداء بالسلام عليه وحده مع أن الأئمة ذكروا لهم أجمع زيارة تعمهم.

---

(١) مستدرك الوسائل: ج٢، ص٢١٢.

الأولى: ما رواه الشيخ الجليل ابن قولويه في كامل الزيارة: ص**٢٣٩**، بسند صحيح عن أبي حمزة الثمالي أن الصادق عليه السلام علمه كيف يزور الحسين عليه السلام إلى أن قال له: ثم صر إلى علي بن الحسين فهو عند رجلي الحسين فإذا وقفت عليه فقل:

السلام عليك يابن رسول الله ورحمة الله وبركاته وابن خليفة رسول الله وابن بنت رسول الله ورحمة الله وبركاته مضاعفة كلما طلعت الشمس أو غربت السلام عليك ورحمة الله وبركاته، بأبي أنت وأمي من مذبوح ومقتول من غير جرم بأبي وأمي دمك المرتقى به إلى حبيب الله بأبي أنت وأمي من مقدم بين يدي أبيك يحتسبك ويبكي عليك محترقاً عليك قلبه يرفع دمك إلى عنان السماء لا يرجع منه قطرة ولا تسكن عليك من أبيك زفرة حين ودعك للفراق فمكانكما عند الله مع آبائك الماضين ومع أمهاتك في الجنان منعمين أبرأ إلى الله ممن قتلك وذبحك.

ثم انكب على القبر وضع يدك عليه وقل:

سلام الله وسلام ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين وعباده الصالحين عليك يا مولاي وابن مولاي ورحمة الله وبركاته.

صلى الله عليك وعلى عترتك وأهل بيتك وآبائك وأبنائك وأمهاتك الأخيار الأبرار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

السلام عليك يابن رسول الله وابن أمير المؤمنين وابن الحسين بن علي ورحمة الله وبركاته.

لعن الله قاتلك ولعن الله من استخف بحقكم وقتلكم ولعن من بقي منهم ومن مضى. نفسي فداؤكم ولمضجعكم صلى الله عليكم وسلم تسليماً كثيراً.

ثم ضع خدك على القبر وقل:

صلى الله عليك يا أبا الحسن، ثلاثاً.

بأبي أنت وأمي أتيتك زائراً وافداً عائذاً مما جنيت على نفسي واحتطبت على ظهري أسأل الله وليّك ووليّي أن يجعل حظي من زيارتك عتق رقبتي من النار.

الثانية: رواها الشيخ الطوسي في التهذيب عن جماعة منهم يونس بن ظبيان أن الصادق قال في زيارة الحسين ثم تأتي إلى علي بن الحسين وهو عند رجلي الحسين فتقول:

السلام عليك يابن رسول الله السلام عليك يابن أمير المؤمنين السلام عليك يابن الحسن[1] والحسين السلام عليك يابن خديجة

---

(١) يحتمل أن يكون ذكر الحسن من زيادة النساخ سهواً ويحتمل أن يكون الغرض من ذكره الإشارة إلى نكتة دقيقة وهي لياقة الأكبر لتحمل الأسرار الإلهية كالأئمة المعصومين لكن الإرادة الأزلية قضت بحصر الخلافة في الاثني عشر الذين نصت الصحف المكرمة النازلة من رب العالمين على=

الكبرى وفاطمة الزهراء صلى الله عليك، ثلاثاً.

لعن الله من قتلك، ثلاثاً.

أنا أبرأ إلى الله منهم، ثلاثاً.

الثالثة: رواها الشيخ الكليني في الكافي عن يوسف الكناني عن الصادق عليه السلام قال:

وتحول عند رأس علي بن الحسين فتقول:

سلام الله وسلام ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين عليك يا مولاي وابن مولاي ورحمة الله وبركاته صلى الله عليك وعلى أهل بيتك وعترة آبائك الأخيار الأبرار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

الرابعة: في مصباح المتهجد للشيخ الطوسي أن صفوان الجمال استأذن الصادق عليه السلام في زيارة الحسين وسأله أن يعلمه ما يقول إلى أن قال له ثم صر إلى رجلي الحسين وقف عند رأس علي بن الحسين وقل:

السلام عليك يابن رسول الله السلام عليك يابن نبي الله السلام عليك يابن أمير المؤمنين السلام عليك يابن الحسين الشهيد السلام عليك أيها الشهيد وابن الشهيد السلام عليك أيها

= أسمائهم وأسماء آبائهم وكناهم وألقابهم.

المظلوم وابن المظلوم لعن الله أمة قتلتك ولعن الله أمة ظلمتك ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به.

ثم انكب على القبر وقبله وقل:

السلام عليك يا وليّ الله وابن وليّه لقد عظمت المصيبة وجلت الرزية بك علينا وعلى جميع المسلمين فلعن الله أمة قتلتك وأبرأ إلى الله وإليك منهم.

الخامسة: البحار عن المزار الكبير أن صفوان الجمال علمه أبو عبد الله الصادق عليه السلام كيفية زيارة الحسين وفيها قال: ثم تأتي إلى قبر علي بن الحسين فتقبله وتقول:

السلام عليك يا وليّ الله وابن وليّه السلام عليك يا حبيب الله وابن حبيبه السلام عليك يا خليل الله وابن خليله عشت سعيداً ومتَّ فقيداً وقتلت مظلوماً يا شهيد ابن الشهيد عليك من الله السلام.

السادسة: في مصباح الزائر لابن طاووس قال: وتأتي إلى رجلي الحسين فتقف على علي بن الحسين وتقول:

السلام عليك أيها الصديق الطيب الطاهر والزكي الحبيب المقرب وابن ريحانة رسول الله السلام عليك من شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته ما أكرم مقامك وأشرف منقلبك أشهد لقد شكر الله سعيك وأجزل ثوابك وألحقك بالذروة العالية حيث

الشرف كل الشرف وفي الغرف السامية في الجنة فوق الغرف كما منَّ عليك من قبل وجعلك من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

والله ما ضرك القوم بما نالوا منك ومن أبيك الطاهر صلوات الله عليكما ولا ثلموا منزلتكما من البيت المقدس ولا وهنتما بما أصابكما في سبيل الله ولا ملتما إلى العيش في الدنيا ولا تكرهتما مباشرة المنايا إذ كنتما قد رأيتما منازلكما في الجنة قبل أن تصيرا إليها فاخترتماها قبل أن تنتقلا إليها فسُررتم وسَررتم فهنيئاً لكم يا بني عبد المطلب التمسك بالنبي وبالسيد السابق حمزة بن عبد المطلب إذ قدمتما عليه وقد لحقتما بأوثق عروة وأقوى سبب صلى الله عليك أيها الصديق الشهيد المكرم والسيد المقدم الذي عاش سعيداً ومات شهيداً وذهب فقيداً فلم تتمتع من الدنيا إلا بالعمل الصالح ولم تتشاغل إلا بالمتجر الرابح.

أشهد أنك من الفرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وتلك منزلة كل شهيد فكيف منزلة الحبيب إلى الله القريب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

زادك الله من فضلك في كل لفظة ولحظة وسكون وحركة مزيداً يغبطه ويسعد أهل عليين به يا كريم النفس يا كريم الأب يا

كريم الجد إلى أن يتناهى رفعكم الله من أن يقال رحمكم الله وافتقر إلى ذلك غيركم مِنْ كل مَنْ خلق الله.

ثم تقول: صلوات الله عليكم ورضوانه ورحمة الله وبركاته فاشفع لي أيها السيد الطاهر إلى ربك في حط الأثقال عن ظهري وتخفيفها عني وارحم ذلي وخضوعي لك وللسيد أبيك صلى الله عليكما.

ثم انكب على القبر وقل:

زاد الله في شرفكم في الآخرة كما شرفكم في الدنيا وأسعدكم كما أسعد بكم وأشهد أنكم أعلام الدين ونجوم العالمين.

السابعة: في مصباح الزائر في زيارة أول رجب وليلته وليلة النصف من شعبان تقف على قبر علي بن الحسين وتقول:

السلام على أول قتيل من نسل خير سليل من سلالة إبراهيم الخليل صلى الله عليك وعلى أبيك إذ قال فيك قتل الله قوماً قتلوك يا بنيّ ما أجرأهم على الرحمن وعلى انتهاك حرمة الرسول على الدنيا بعدك العفا.

أشهد أنك ابن حجة الله وابن أمينه حكم الله لك على قاتليك وأصلاهم جهنم وساءت مصيراً وجعلنا يوم القيامة من ملاقيك ومرافقيك ومرافقي جدك وأبيك وعمك وأخيك وأمك المظلومة الطاهرة المطهرة.

أبرأ إلى الله ممن قتلك وقاتلك وأسأل الله مرافقتكم في دار الخلود والسلام عليك ورحمة الله وبركاته[١].

الثامنة: عن مزار الشيخ المفيد في النصف من رجب توجه إلى علي بن الحسين وقل:

السلام عليك يا مولاي وابن مولاي لعن الله قاتليك ولعن الله ظالميك إني أتقرب إلى الله بزيارتكم وبمحبتكم وأبرأ إلى الله من أعدائكم السلام عليك يا مولاي ورحمة الله وبركاته.

التاسعة: عن الشيخ المفيد وابن طاووس والشهيد الأول في عيدي الفطر والأضحى تقف على علي بن الحسين وتقول:

السلام عليك يابن رسول الله السلام عليك يابن خاتم النبيين السلام عليك يابن فاطمة سيدة نساء العالمين السلام عليك يابن أمير المؤمنين السلام عليك أيها المظلوم الشهيد بأبي أنت وأمي عشت سعيداً وقتلت مظلوماً شهيداً.

العاشرة: قالوا جميعاً في عرفة تقف على علي بن الحسين وتقول:

---

(١) هذه الفقرة من الزيارة وردت في زيارة الناحية للشهداء اجمع وهنا يقول ابن طاووس إنها خالفت ما ورد في يوم عاشوراء من زيارة الشهداء في زيادة الأسماء ونقصانها إلا أنا اتبعنا ما رأيناه ورويناه.

السلام عليك يابن رسول الله السلام عليك يابن نبي الله السلام عليك يابن أمير المؤمنين السلام عليك يابن الحسين الشهيد السلام عليك أيها الشهيد وابن الشهيد السلام عليك أيها المظلوم وابن المظلوم لعن الله أُمة قتلتك ولعن الله أُمة ظلمتك ولعن الله أُمة سمعت بذلك فرضيت به السلام عليك يا وليّ الله وابن وليّه لقد عظمت الرزية وجلّت المصيبة بك علينا وعلى جميع المؤمنين فلعن الله أمة قتلتك وأبرأ إلى الله وإليك منهم في الدنيا والآخرة.

هذا ما وقفنا عليه من الألفاظ الخاصة الواردة عن الأئمة الهداة عليهم السلام في زيارة «علي الأكبر» والمتأمل في مضامينها الجليلة تتجلى له منزلة الشهيد الأكبر السامية التي لا يحلق إلى تصويرها طائر الفكر وأنه امتاز عن أولئك الصفوة سادة الشهداء بمزايا تؤهله للإمامة لولا الحكم الإلهي الأبدي بحصر خلفاء الرسول الأعظم في الاثني عشر النازلة بأسمائهم وألقابهم وكناهم واسماء آبائهم صحف مكرمة من رب العالمين.

ولا بدع في أن يوجد المهيمن سبحانه وتعالى ذواتاً قدسية منزهة عن شوائب هذه العوارض الدنيوية وقد اتصلت نفوسهم بالمبدأ الأعلى فلا يرون كياناً يجلب النظر إلا ذات المولى جل شأنه وليس هناك ما يوجب اللفتة إليه عدى الجمال الإلهي القدسي.

صلاة الزيارة

ينص الحديث عن الإمام الصادق الوارد في زيارة الحسين عليه السلام المشتملة على المقدمات والمقارنات الكثيرة على رجحان صلاة الزيارة قال فيه:

فإذا فرغت فصلِّ ما أحببت إلا أن ركعتي الزيارة لا بد منهما عند كل قبر[1].

فأثبت بعمومه رجحان صلاة الزيارة عند كل مزور وليس هناك مخصص يدفع العموم وخلو بعض الزيارات الواردة في غير المعصومين من التعرض لركعتي الزيارة لا ينهض لمصادمة العموم فالعام محكم في موارده حتى يأتي المخصص المخرج كما أن التنصيص في زيارة المعصومين لا يدل على عدم المشروعية في غيرهم.

فما حكي عن بعض معاصري شيخنا المجلسي من منع صلاة الزيارة لغير المعصومين مستدلاً بخلو الأخبار الواردة في زيارتهم

---

(١) كامل الزيارة لابن قولويه: ص٢٤٠.

عنها في غير محله أولاً إن ذلك العموم يشهد بخلافه وثانياً إن المحكي عن مزار الشيخ المفيد[١] ومزار ابن المشهدي ورود الأمر بها في زيارة العباس وينص ابن طاووس في مصباح الزائر على رجحانهما بالنسبة إلى العباس وفي آخر مصباح الزائر يقول إن ما وقع اختياره عليه في كتابه قد وصل على الوجه الذي اعتمد عليه من جهة الرواية.

ويقول ابن المشهدي في أول مزاره إن ما أودعته في الكتاب هو ما حصل لدي من الروايات الواردة عن أئمة الهدى عليهم السلام.

وحينئذ فلا يسع كل أحد نسبة ما أودعوه في كتبهم إلى محض آرائهم من دون تخريج عن أهل البيت.

ومن ذلك ما ذكره مؤلف المزار الكبير وشيخنا الشهيد الأول في المزار من رجحان صلاة الزيارة لمسلم بن عقيل وهاني بن عروة فما ذكره العلماء في كتبهم من استحباب ركعتي الزيارة لأفذاذ من رجالات أهل بيت العصمة لا ينبغي الوقفة فيه وإن لم نعثر على نفس الرواية الحاكمة به فلعله كان واصلاً إليهم من طريق جهلناه ولو بالمشافهة من إمام العصر عجل الله فرجه وجهلنا بالطريق لا يكون موجباً لعدم الرجحان.

---

(١) مزار البحار: ص١٦٥.

وإن كلمة شيخ المحققين الشيخ أسد الله الكاظمي في «كشف القناع» ص٢٣٠ تزيدنا بصيرة في تأكيده وحاصل ما ذكره: أن من الجائز أن يحصل لبعض حملة أسرار الأئمة العلم بقول الإمام الغائب عن الأبصار إما بنقل أحد سفرائه سراً على وجه يفيد اليقين وإما بتوقيعه ومكاتبته كذلك وإما بالسماع منه عليه السلام مشافهة على وجه لا ينافي الرؤية في زمن الغيبة فلا يسعه التصريح بما حصله من الحكم على هذه الوجوه وإن لم يوجد في الأدلة ما يدل عليه ولم يكن هذا المشافه مخصوصاً بالحكم ولا ممنوعاً من إظهاره لسائر الناس فلا مندوحة حينئذ من إظهار هذا الذي اطلع عليه بصورة الاتفاق عليه والتسالم.

وهذا هو الأصل في كثير من الزيارات والآداب والأعمال المعروفة التي تُدووِلت بين الإمامية ولا مستند ظاهر من أخبارهم ولا من كتب قدمائهم الواقفين على آثار الأئمة وأسرارهم.

ومن ذلك ما رواه والد العلامة الحلي والسيد ابن طاووس عن السيد الكبير العابد رضي الدين محمد بن محمد الأزدي الحسيني المجاور بالمشهد الغروي الأقدس عن صاحب الزمان أرواحنا له الفداء في طريق الاستخارة بالسبحة، كما سمعه منه صلوات الله عليه ابن طاووس في السرداب من الدعاء لشيعته وكدعاء العلوي المصري المعروف الذي علمه محمد بن علي العلوي الحسني المصري في حائر الحسين وقد أتاه في خمس ليالٍ حتى تعلمه.

وهذا هو الأصل في كثير من الأقوال المجهولة القائل فيكون المطلع على قول الإمام لما وجده مخالفاً لما عليه الإمامية أو معظمهم ولم يتمكن من إظهاره على وجهه وخشي أن يضيع الحق جعله قولاً من أقوالهم واعتمد عليه وأفتى به من دون تصريح بدليله اهـ.

فتحصل من كلامه أن العلماء لم يودعوا كتبهم حكماً من الأحكام من دون أن يعثروا عليه عن أئمتهم.

وهذا كله كافٍ في دعوى رجحان صلاة ركعتين بعد الفراغ من زيارة علي الأكبر الذي نحن بصدد إثباته على أن الشيخ الجليل الكفعمي روى في البلد الأمين عن الإمام الصادق عليه السلام زيارة الحسين وفيه يقول:

ثم زر علي بن الحسين والشهداء والعباس وتصلي ركعات الزيارة ثمان[1].

وإنما تتحقق الثماني ركعات بإضافة الركعتين لزيارة الحسين ومؤلف المزار الكبير بعد أن روى عن الصادق زيارة الحسين وصلاة ركعتين لها قال:

ثم زر علي بن الحسين وصلِّ ركعتين وأكثر بعدهما من

---

(١) مزار البحار: ص١٦٩.

الصلاة على النبي محمد وآله وتسأل حاجتك[١].

وفي هذا مقنع لمن يتطلب النص بالخصوص على رجحان صلاة الزيارة لعلي الأكبر وفقنا الله للقيام بهذه الوظائف المقربة من المولى الجليل عز شأنه.

(١) مزار البحار: ص١٨٠.

التأبين

إن من المرتكز في الجبلة البشرية إقامة النوائح للفقيد وتأبينه بتعداد مآثره وبيان مبلغ مصابه من الأفئدة وذلك يختلف بتفاوت مراتب الرجال فمهما عظم موقف الرجل من الفضيلة وتعددت فواضله وجلت مصيبته عظم الاستياء له وطالت مدته وإن من الغرائز التي فطر عليها الناس كون فقد الأحبة باعثاً للنفوس حسرة وللعيون عبرة وللقلوب حرقة وإن في إفاضة العبرة تخفيف لوعة المصاب على الباكي وإخماد جمرته فيتلاشى ما تأثر به قلبه من الفادح الجلل بتساقط الدمعة وتصاعد الزفرة.

ومما يرشدنا إلى أن البكاء أمر قهري وجبلي فطري عند تذكر مصاب الفقيد وتصور حياته قول نبي العظمةﷺ: كلما أتذكر ما يجري على الحسين لم أملك عيني عن البكاء[1] كما أنهﷺ لم يتمالك عنه لما أبصر ولده إبراهيم يجود بنفسه وحين استعظم عبد

(١) مسند أحمد: ج١، ص٨٥.

الرحمن بن عوف هذا البكاء من الرسول العظيم التفت إليه وقال: «إنها رحمة» ثم أتبعها رسول الله بعبرة أُخرى قائلاً:

العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول ما لا يرضي الرب وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون[١].

فإن التأمل في الحديث يفيدنا أن المنشأ في إنكار ابن عوف ما يراه من عظمة النبوة فتخيل أنها قاهرة لذلك الحنان الطبيعي فقال له: «وأنت يا رسول الله» يريد أن صاحب هذه المكانة السامية هل يقهره البكاء فعرَّفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحكومة الفطرة على النفوس البشرية فقال: إنها رحمة[٢].

وإذا كان جامع المحامد بأسرها وحبيب الله تعالى وخيرة خلقه يأخذ به العطف الجبلي إلى أن لا يتمالك عن إفاضة العبرة فليس من البدع إذا لم تتعاص نفوسنا عن البكاء لفقد الأحبة.

على أن هذه الجبلة لم تختص بالبشر وإنما أودعها المهيمن سبحانه في جميع الحيوانات كما يرشد إليه نهي أمير المؤمنين عليه السلام عن ذبح الحيوان ومثله ينظر إليه.

ويتحدث المؤرخون أن جعفر بن علبة لما قتل عمد أبوه إلى

---

(١) إرشاد الساري: ج٢، ص٤١٤.

(٢) المصدر.

كل ناقة وشاة يملكها فنحر أولادها وألقاها بين يديها وقال ابكين معنا على جعفر فما زالت النوق تنظر إلى أولادها وترغو والشاء تثغو والنساء يصحن وهو يبكي معهم فما رئي يوم كان أوجع وأحرق مأتماً في العرب من يومئذ[١].

وهذه الحالة تشتد إذا كان الفقيد من قادة الإصلاح وله غايات ثمينة يجب السير على أثرها فيكون في تكرر ذكرها لفت للأنظار إلى التحلي بها.

وإن من أهم ما يوجب توجيه النفوس نحو الفقيد للاستضاءة بآثاره واقتفاء مناهجه والأخذ بأعماله الكريمة هو نظم الشعر المعرب عما له من فضل كثار وأيادٍ ناصعة ومساعٍ جبارة فإن آثار الرجال مهما كبرت في النفوس وعظم أمرها قد يخمل ذكرها بمرور الزمن وتباعد العهد فيغفل عن تلك المآثر ويتناسى ما لها من أهمية كبرى.

وإن القول المنظوم أسرع تأثيراً في الإصاخة إليه لرغبة الطباع فيه فتسير به الركبان وتتحفظ به القلوب وتتلقاه جيلاً بعد جيل ولولاه لما كان من المستطاع الوقوف على كثير من قضايا الأمم وسيرها وحروبها وعاداتها وآدابها في الجاهلية والإسلام.

---

(١) الأغاني: ج١١، ص١٤٦.

ولما كانت ذكرى أهل البيت عليهم السلام قوام الدين وروح الإصلاح وبها تدرس تعاليمهم ويقتفى أثرهم ورد الحث المتواتر من الأئمة عليهم السلام على نظم الشعر فيهم وأكثروا من بيان فضله إلى حد بعيد[1] كما أنهم أجزلوا الهبات للشعراء الذين جاهروا في فضلهم ولم يردعهم عن المكاشفة في حقهم وبيان مظلوميتهم مع ملاقاتهم كل خشونة وجور من خلفاء وقتهم حتى تتبعوهم تحت كل حجر ومدر ولقد حبس هشام بن عبد الملك الفرزدق بعسفان لما مدح السجاد عليه السلام في البيت الحرام بقصيدته التي يقول في أولها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

وحبسوا الكميت الأسدي وشردوا دعبلاً الخزاعي في البلدان ولا ذنب لهم سوى مجاهرتهم في ولاء العترة الطاهرة التي أوصى النبي الأقدس بمودتهم تبليغاً عن الوحي المبين: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾.

والنكتة الدقيقة في حمل الأئمة عليهم السلام الشعراء على نظم الشعر فيهم هو علمهم بأن التستر في أمرهم والمجاملة مع أمراء الوقت يوجبان إماتة كلمتهم بخلاف المجاهرة فيه فإنها تفيد الملأ الواعي لها في الأجيال المتعاقبة بصيرة بأحقيتهم لهذا الأمر وأنّ

---

(١) راجع مقتل الحسين: ص٣٧، وكتاب العباس: ص٢٢١.

مناوئيهم غاصبون منصبهم المجعول لهم من المهيمن جل شأنه.

ولذلك كانوا عليهم السلام يدرّون على الشعراء المال ويقربون مجالستهم منهم بما لا يفعلونه مع خواص شيعتهم علماً منهم بأن نهضة الشعراء أكثر تأثيراً مما يحمله رواة الحديث وحفظته.

ذكر المؤرخون أن الكميت الأسدي استأذن على الإمام الصادق عليه السلام وهو في منى على أن ينشده شعراً فكبر على الإمام التذاكر بالشعر في الأيام العظام ولما عرّفه الكميت بأنها فيهم أنس أبو عبد الله عليه السلام به لما فيه من إحياء أمرهم والدعوة إلى ذكرهم ثم بعث إلى بعض أهله فقرب من المجلس فأخذ الكميت ينشد قصيدته وكثر البكاء من الإمام وأهله حتى إذا أتى على قوله:

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم فيا آخراً أسدى له الغي أول

رفع أبو عبد الله يديه وقال: اللهم اغفر للكميت ما قدم وما أخر وما أسر وما أعلن وأعطه حتى يرضى[1].

وفي موطن آخر لما فرغ من إنشاد قصيدته أعطاه صرة فيها دنانير واستعذره من قلتها.

وعلى هذا الأساس فقد نهض جماعة من علماء الطائفة

---

(١) الأغاني: ج١٥، ص١١٨.

وفضلائها إلى نظم ما أُثر عن أبي الحسن «علي الأكبر» وما حباه به المولى سبحانه من مزايا امتاز بها على جميع الشهداء عدى عمه العباس.

*****

من هؤلاء الذين فازوا بالرضوان الأكبر بخدمة شبيه الرسول خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً شيخنا الحجة آية الله الشيخ محمد حسين الاصفهاني[١] فلقد أبدع في أرجوزته التي صورت نفسية الأكبر وقداسة ذاته وبصيرته التي هي أنفذ البصائر قال قدس سره:

تمثل النبي في سليله في خَلقه وخُلقه وقيله

---

(١) له أربع وعشرون أرجوزة في النبي وفاطمة والأئمة الاثني عشر وأبي طالب وحمزة وجعفر الطيار والعباس ومسلم بن عقيل وأبي جعفر السيد محمد بن الإمام الهادي وزينب الكبرى وعلي الأكبر والقاسم وعبد الله الرضيع وقد تصدى لطبعها بأجمعها الفاضل صاحب المطبعة الحيدرية في النجف «محمد كاظم الحاج شيخ صادق الكتبي» كما أنه لم يزل مجداً في نشر مؤلفات علماء الطائفة الجعفرية وبمسعاه أحيا جملة كثيرة كانت في زوايا المكتبات لا ينالها إلا النزر من رواد العلم فإلى المهيمن نبتهل أن يفيض عليه لطفه في المثابرة على هذا المجهود الكبير الذي يضم إلى المكتبة العربية عدداً ليس بالهين من مؤلفات رجالات الشيعة ومتقدميهم في الحديث والكلام والتاريخ.

كما تجلى الله في نبيّه ... فقد تجلى هو في وليّه
وقد تجلى قلم الأقلام ... في لوح سر الوحي والإلهام
فيه تجلى محكم التنزيل ... كما تجلى باطن التأويل
وكيف وهو صفوة الولاية ... ونخبة المبعوث بالهداية
شمائل النبي في شمائله ... وصولة الوصي من فضائله
هو الوصي في علو همته ... وفي إبائه وفي فتوّته
كل جميل هو في جماله ... وكل عز هو في جلاله
هو ابن من دنا إلى أدناه ... فما أجله وما أعلاه
ريحانة الحسين أزكى ثمره ... لمهجة النبي خير الخيره
فتى قريش بل فتى الوجود ... وليثها بل أسد الأسود
وسيفها العادل في قضائه ... بل هو سيف الله في مضائه
فارسها بل فارس الإسلام ... أكرم بهذا البطل الهمام
من دوحة العلياء غصنها الطري ... نماه بالقدس نمير الكوثر
ذاك علي بن الحسين بن علي ... لطيفة الطف الخفيِّ والجلي
في عالم التكوين كون جامع ... يندك في وجوده الجوامع
بل هو في صحيفة الأكوان ... فاتحة الكتاب في القرآن
غرته غرة سيد الرسل ... نور العقول والنفوس والمثل
قرة عين الحق والحقيقة ... درة تاج الشرع والطريقة
ووجهه المضيء في الأعيان ... بدرٌ سماهُ عالم الإمكان
كيف وفي الإشراق والضياء ... شمس ضياء عالم الأسماء

ونوره المنير نور النور ... فأين من سناه نور الطور
أسفر من مشرقه صبح الأزل ... به استنار الكون فيما لم يزل
بل لا يزال مستنيراً أبدا ... وكيف لا ونوره نور الهدى
نور بدا من أفق الرسالة ... من أفق العزة والجلالة
بل هو في الظهور سر المصطفى ... فمنتهى جلاه غاية الخفا
هو النبي في معارج العلا ... لكن عروجه بطف كربلا
نال من العروج منتهى الشرف ... ومن رياض القدس أفضل الغرف
والحرب قد بانت لها الحقائق ... مذ في يمينه تجلى البارق
وافترس الفرسان ليث غابها ... واختلس الكماة من ركابها
فكم كميٍّ حين ألفى الشرّ فرّ ... يقول من خيفته أين المفر
كم بطل من عضبه البتار ... شاهد في الدنيا عذاب النار
سطا على جموعهم منفردا ... حتى إذا أوردهم ورد الردى
صال كجده الوصي المرتضى ... بصولة تشبه محتوم القضا
حتى إذا تم نصاب الحرب ... بالطعن في صدورهم والضرب
فاجأه «ابن مرة» الغدار ... فكاد يهوي الفلك الدوار
أليس يهوي الفلك الدوار ... إن زال عن مركزه المدار
بل هو في مقامه المكين ... مدار كل عالم التكوين
وانشق رأس المجد والفخار ... بل مهجة المختار والكرار
لما أصيبت هامة الكرامة ... على أبيه قامت القيامة
ومذ رأى قرة عين المصطفى ... معفراً قال: (على الدنيا العفا)

وانهملت عيناه بالدموع ... بل بدم من قلبه الجزوع
وكيف لا يبكي دماً قلب الهدى ... ومهجة الدين غدت نهب العدى
بكت على شبابه عين السما ... فأمطرت لعظم رزئه دما
وآذنت حزناً بالانفطار ... مذ غاب عنها قمر الأقمار
ناحت عليه الكعبة المكرمة ... مذ أصبحت أركانها مهدَّمة
كيف وناحت كعبة التوحيد ... على مصاب ركنها الوحيد
ناحت على كفيلها العقائل ... والمكرمات الغر والفضائل
بكته بالغدو والآصال ... عين الملا والمجد والكمال
بكاه ما يُرى وما ليس يُرى ... من ذروة العرش إلى تحت الثرى
بكاه حزناً رب أرباب النهى ... ومن هو المبدأ وهو المنتهى
ومن بكاه سيد البرايا ... فرزؤه من أعظم الرزايا
بكته عين الرشد والهداية ... ومن هو المنصوص بالوصاية
لقد بكت كالمزن عين المعرفة ... على فقيد كل اسم وصفة
يا ساعد الله أباه مذ خبا ... نيِّره (الأكبر) في ظل الظُبا
رأى الخليل في منى الطفوف ... ذبيحه ضريبة السيوف
لهفي على عقائل الرسالة ... لما رأينه بتلك الحالة
علا نحيبهن والصياح ... فاندهش العقول والأرواح
لهفي لها إذ تندب الرسولا ... فكادت الجبال أن تزولا
لهفي لها مذ فقدت عميدها ... وهل يوازي أحد فقيدها
ومن يوازي شرفاً وجاها ... مثال ياسين شبيه طاها

لشيخنا حجة الإسلام آية الله الشيخ عبد الحسين الشيخ صادق العاملي قدس الله روحه الطاهرة:

عهدي بربعهم أغن المعهدي ... وندِيُّه يفتن بالروض الندي
ما باله درس الجديد جديده ... ومحا محاسن خده المتورد
أفلت أهلته وغابت شهبه ... في رائح للنائبات ومغتدي
زمت ركاب قطينه أيدي سبا ... تفلي الفلاة بمتهم أو منجدي
ولقد وقفت به ومعتلج الجوى ... بجوانحي عن حبس دمعي مقعدي
فتخالني لضناي بعض رسومه ... ولحرّ أحشائي أثافي موقدي
متقوس كالنؤي إلا أنني ... لشحوب جسمي ما نسوا من مذود
حجر على عيني يمر بها الكرى ... من بعد نازلة «بعترة أحمد»
أقمار تم غالها خسف الردى ... فاغتالها بصروفه الزمن الردي
شتى مصائبهم فبين مكابد ... سماً ومنحور وبين مصفد
سل كربلا كم من حشاً لمحمد ... نهبت بها وكم استجذت من يد
ولكم دم زاكٍ أريق بها وكم ... جثمان قدس بالسيوف مبدد

وبها على صدر الحسين ترقرقت ... عبراته حزناً لأكرم سيد
(وعليّ قدرٍ) من ذؤابة هاشم ... عبقت شمائله بطيب المحتد
أفديه من ريحانة ريانة ... جفت بحرّ ظماً وحرّ مهند
بكر الذبول على نضارة غصنه ... إن الذبول لآفة الغصن الندي
للَّه بدر من مراق نجيعه ... مزج الحسام لجينه بالعسجد
ماء الصبا ودم الوريد تجاريا ... فيه ولاهب قلبه لم يخمد
لم أنسه متعمماً بشبا الظُبا ... بين الكماة وبالأسنة مرتدي
يلقى ذوابلها بذابل معطف ... ويشيم أنصلها بجيد أجيد
خضبت ولكن من دم وفراته ... فاخضر ريحان العذار الأسود
جمع الصفات الغر وهي تراثه ... من كل غطريف وشهم أصيد
في بأس حمزة في شجاعة حيدر ... بإبا الحسين وفي مهابة أحمد
وتراه في خَلق وطيب خلائق ... وبليغ نطق كالنبي محمد
يرمي الكتائب والفلا غصت بها ... في مثلها من بأسه المتوقد
فيردها قسراً على أعقابها ... في بأس عريس العرينة ملبد
ويؤوب للتوديع وهو مكابد ... لظما الفؤاد وللحديد المجهد
صادي الحشا وحسامه ريان من ... ماء الطلا وغليله لم يبرد
يشكو لخير أب ظماه وما اشتكى ... ظمأ الحشا إلا إلى الظامي الصدي
فانصاع يؤثره عليه بريقه ... لو كان ثمة ريقه لم يجمد
كل حشاشته كصالية الغضا ... ولسانه ظمئاً كشقة مبرد
ومذ انثنى يلقى الكريهة باسماً ... والموت منه بمسمع وبمشهد

لف الوغى وأجالها جول الرحى بمثقف من بأسه ومهند
حتى إذا ما غاص في أوساطهم بمطهم قب الأياطل أجرد
عثر الزمان به فغودر جسمه نهب القواضب والقنا المتقصد
ومحا الردى يا قاتل الله الردى منه هلال دجىً وغرة فرقد
يا نجعة الحيين هاشم والندى وحمى الذمارين العلا والسؤدد
كيف ارتقت همم الردى لك صعدة مطرورة الكعبين لم تتأود
فلتذهب الدنيا على الدنيا العفا ما بعد يومك من زمان أرغد

* * * * *

لفضيلة الأستاذ السيد محمد نجل حجة الإسلام آية الله السيد جمال الهاشمي أدام الله ظله العالي:

هلهلت باسم سيفه كربلاء فتهادى العلا وماس الإباء
بطل تنطف الشجاعة منه وتفيض المخايل العصماء
وبطل باسمه المكارم تشدو وتشيد الحريّة الحمراء
علوي الشعاع قد اطلعته من سماها الصديقة الزهراء
من بني هاشم الهداة ولكن فضلتهم آلاؤه الغراء
سبط طاها يحكيه خَلقاً وخُلقاً فله منه منطق وبهاء
وحفيد الوصي يعرب عنه بأسه إذ تثيره الهيجاء
ووليد الحسين حاز معاليه وبالورد تعرف الأشذاء
ولدته الشموس حتى تسامى كوكباً منه تزهر الأجواء
ونمته السيوف فهو حسام أرهفته الخطوب والأرزاء
هلهل الطف حين لاح عليٌّ فارساً تحتفي به الخيلاء
واشرأبت له العيون اندهاشاً أهو وجه أم كوكب وضاء

طلعة تصعق العيون ونور ... عنه في الجذب حدث الكهرباء
جاء يختال بالجمال وللحسن ... ازدهاء تزهو به الكبرياء
بطل يعضد الشجاعة باللطف ... وللطف تخضع الأقوياء
تتحامى حسامه وهو نار ... تلتظي في لهيبه الأشلاء
فتفر الصفوف منه انذعاراً ... فهو ليث في بأسه وهي شاء
تترامى القتلى حواليه إما ... راعهم من حسامه إيماء
لست أدري أسيفه كان أمضى ... فتكة أم عيونه النجلاء
يتلقى السيوف جذلان إذ في ... حدها تلمع الأماني الوضاء
ويرد الرماح وهي كعوب ... نثرتهن كفه البيضاء
آه لولا الظما لأنبأ عنه ... الطف ما تحتفي به الأنباء
لاهف القلب يستقي المجد من ... كفيه ما ترتوي به العلياء
أثر الحر في قواه فراحت ... تشتكي من كفاحه الأعضاء
وإذا جف منهل الحقل زالت ... روعة الزهر واضمحل الرواء
فانثنى للخيام لهفان يبغي ... جرعة ترتوي بها الأحشاء
فاستدارت به الثكالى تفديه ... وقد مضها الأسى والبكاء
تلك أم ولهى وهاتيك أخت ... أذهلتها الحوادث السوداء
واحتفت زينب به في حماس ... ألهبته العقيدة الخشناء
يعرب البشر وجهها وبجفنيها ... شجون فصيحة خرساء
مشهد للوداع قد مثلته ... لتهز الرجال فيه النساء
وأتاه الحسين يسأل عما ... جاء في شبله وماذا يشاء

وهل الماء قصده وهو أدرى ... الناس أن ليس في المخيم ماء
فرأى هيئة يجن بها الفن ... وتعيى عن وصفها الشعراء
أعلي يراه أم جبرئيل ... أنزلته على الحسين السماء
لا فقد جاوز الملائك حداً ... وتعالى فما له أكفاء
فهو لو رام أن يزيل المباني ... لتلاشت بأمره الأشياء
قال مهلاً يابن الحقيقة إنا ... في مجاز يدب فيه الفناء
لا تجاهر بما تحس فللنسر ... مطار تنحط عنه الحداء
وانبرى يختم الخزانة بالخاتم ... والسر شأنه الإخفاء
وانثنى للوغى عليٌّ وفي يمناه ... سيف تسيل منه الدماء
حفزته على الشهادة نفس ... تتباهى بقدسها الشهداء
فطوى الجيش ينشر الموت حتى ... شتته غاراته الشعواء
آه لولا القضاء لاندك صرح ... شيدته المطامع الرعناء
لهف نفسي له وقد خضبته ... من يد البغي ضربة نكراء
أدرى الرجس منقذ أن فيه ... فجع البأس والإبا والفتاء
وأُصيب النبي فيه وأنّت ... من شجاه البتولة العذراء
عانق المهر وهو يدعو أباه ... بنداء ضجت له الأجواء
وعليك السلام هذا وداعي ... فيه فاضت روحي وحان القضاء
فأتاه الحسين كالصقر منقضاً ... وكالرعد ماج فيه الفضاء
فرأى شبله وقد وزعته ... قطعاً في سيوفها الأعداء
فرفع السبط طرفه وهو يدعو ... ربه في رضاك هذا الفداء

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المنعم الفرطوسي:

مصرع الحق في جهاد لوي ... خضب الأفق من دماء علي
شفق كحلت به كل عين ... واكتسى منه كل قلب شجي
قبلته شمس الضحى بسناها ... فسقاها من لونه العسجدي
مصرع للإباء والفخر صنو ... هو مهد لكل حر أبي
ساحة للجهاد أوكلت الآ ... جال فيها لرمحه السمهري
أمها الصقر فاستطارت بغا ... ث الطير رعباً من بطشه العلوي
حام فيها وسيفه للمنايا ... خافق فوق رأس كل كمي
كم نفوس سالت عليه بحوراً ... وهو ظام الأحشاء من كل ري
وجموع سود وحمر بنود ... قد أصيبت منه بنشر وطي
أروع هزت الحمية منه ... عاطفات تهز كل حمي
باسم والكماة تعبس منه ... فرقاً في زحام يوم دجي
فالمجلي هو المجلي فراراً ... من حسام بكفه مشرفي
والشجاع الذي تحدق فيه ... مقلتاه من المكان القصي

هو لولا شهادة وقضاء كتبا فوق لوحة الأزلي
لمحا بالحسام وهو سعيد كل رجس من الأعادي شقي
وشهيد مجد الشهادة فيه يتسامى بأغلب مضري
ينتمي الفخر والعلاء إليه وهو ينمى لفاطمة وعلي
في حياء العذراء في جرأة الليث بيوم الندا ويوم الندي
يتلاشى الفجر البهي حياءً حين يبدو له بوجه بهي
وتميد الأغصان قصفاً إذا ما يتهادى زهواً بقدٍّ زهي
وتغار الحسناء وهو خضيب بدماه من شعره الذهبي
ويود الأقاح لو أن فيه بسمة من جمال ثغر شذي
نفست نينوى الدراري عليه إذ زهت منه بالفم الدري
لهف نفسي يزف للخلد والنبل نثار لعرسه الأريحي
ومن النحر في يديه خضاب أين منه خضاب كل فتي
ومن الصافنات في السوح رقص ومن البيض خير لحن شجي
أهو عرس أم مأتم فيه يعلو لبنات الزهراء أي دوي
وذبيح يحق في كل عضو منه أن يفتدى بذِبح زكي
تتوارى الأقمار حين تراه من محيا معفر قمري
ولقد كان أشبه الناس خَلقاً خُلقاً منطقاً بخير «نبي»
بعدما أنقذ الرشاد علاه بحسام الضلال منقذ غي
فهوى البدر باسم الثغر بشراً دامي النحر والجبين الوضي
فوق مهد من السيوف وثير تحت ظل من القنا والقِسي

وهو يدعو أباه شجواً بصوت متلاشٍ مما عراه خفي
أبتاه عليك مني سلام فقد سقاني جدي بكأس هني
فأتاه الحسين يسرع بالخطو ويعدو وقور آل لوي
فرأى جسمه الموزع أضحى قطعات فوق الصعيد السوي
فرمى نفسه عليه حزيناً بفؤاد دامٍ وطرف بكي
نادباً عنده بني على الدنيا العفا يا شبيه خير صفي
قتل الله شر قوم أضاعوا حرمة المصطفى بقتل علي

*****

للخطيب الفاضل الشيخ أحمد ابن الشيخ حسون الوائلي:

هل من سبيل للرقاد النائي ... ليداعب الأجفان بالإغفاء
أم أن ما بين المحاجر والكرى ... ترة فلا يألفن غير جفاء
أرق إذا هدأ السمير تعوم بي ... الأشواق في لجج من البرحاء
أقسمت إن أرخى الظلام سدوله ... أن لا أفارق كوكب الخرقاء
فإذا تولى الليل أسلمني إلى ... وضح النهار محطم الأعضاء
لا عضو لي إلا وفيه من الجوى ... أثر يجر إليه عين الرائي
فعلى الجبين من الوجوم دجنة ... وعلى الشفاه بوادر الإعياء
قلق الوضين أبيت بين جوانحي ... همم تحاول مصعد الجوزاء
همم أبت إلا العلو كأنما ... مدت لتجذبها أكف علائي
وإذا توقدت العزائم في الفتى ... فالجسم في سقم وفي لأواء
أنا إن يحاربني الزمان مجاهداً ... فلأنني من طالب العلياء
جربت منه طرائقاً وخلائقاً ... فعرفت أن الدهر من خصمائي
وخضضت رغوته فعدت بحالة ... لا تستسيغ تراشق الآراء

فالبئر إن طفحت إليك بمائها أغنتك كفك عن طويل رشاء
وإذا لمست من الزمان نعومة فاحذر زعاف الحية الرقطاء
عبر على وجه الزمان جلية يغنيك حاضرها عن الأنباء
قالت سعاد وقد تملك ناظري مترقرق من أدمع حمراء
متحير بين الخدود ومحجري يستاق بين مسرة وشجاء
إني عهدتك للشجون مغالباً فمتى ألفت تنفس الصعداء
فأجبتها والموريات تحشدت تذكي أوار الحزن في أحشائي
حزن ابن ليلى يستدر مدامعي ومضاء عزمته يثير هنائي
ندب تحدر من سلالة فتية ملأوا رباع الأرض بالآلاء
بدر تتوجه خلائق أحمد بفصاحة وسماحة ومضاء
متجلبب من حيدر بشجاعة ومن الحسين موشح بإباء
سل عنه أكناف الطفوف فكم بها تركت صفيحته من الأشلاء
وسل القواضب والقنا عن نثره والنظم فهي به من الخبراء
ملك الوغى بحسامه فأحالها دهماء أعيت ألسن البلغاء
خرست مقاولها فلا متكلم وغدت تشير إليه بالإيماء
سيان عند سنانه وحسامه يوم الهياج قريبها والنائي
بطل تخب به ربيبة سبسب يهتز صلواها من الخيلاء
غراء تستبق النواظر إن سرت أوحت لذهنك ليلة الإسراء
غيران يفتك بالألوف وعمره ما جاوز العقدين في الإحصاء
والسبط يرصده وفوق جبينه للناظرين بوادر السراء

وأصاخ يسمع رجزه ويجيبه ... الميدان عند الرجز بالأصداء
وإذا به يدعوه أدركني فقد ... دارت علي بجمعها أعدائي
فانقض مثل الصقر شام فريسة ... وجلا الصفوف وجال في الأرجاء
حتى إذا دفع العدى عن شبله ... آوى إليه بلوعة وبكاء
ألفاه منعفر الجبين تمازجت ... حمر الدماء بوجنة بيضاء
ورأى شفار المرهفات تلاعبت ... بجمال تلك القامة الهيفاء
فجثا وأقنع للسماء بشيبة ... مغمورة بمدامع ودماء
يا عدل قد قتلوا شبيه محمد ... أنزل بساحتهم عظيم بلاء
وأحل رأس وليده في حجره ... وانصاع يمسح عثير الغبراء
يا نبعة غذيتها بدم الحشا ... وغرستها في روضة غناء
ووقيتها لفح الهجير وحطتها ... بأضالعي بدلاً عن الأحناء
حتى إذا بسقت لدان فروعها ... وتفتحت عن بهجة ورواء
وتضوعت نفحاتها عباقة ... وتمازجت في رونق وسناء
وذهبت أرقب ما رجوت من الجنى ... ثمراً يعوضني كبير عنائي
أودى بها الحدثان وهي فتية ... فأحال قفراً من خصيب رجائي
أبنيّ أقصدني الزمان وفتّ في ... عضدي فلا أسطيع حمل ردائي
لم أنس إذ حملته فتية هاشم ... لحرائر يندبن وسط خباء
فحنت عليه الثاكلات لواطماً ... حر الوجوه بلوعة وشجاء
لهف لزينب إذ رأت وفراته ... مخضوبة بدم عن الحناء
عقد الأسى منها اللسان فأعولت ... لفقيدها بالدمعة الخرساء

أبني كنت لي الأنيس إذا دجى الليل البهيم وكنت بدر سمائي
يا صرح آمال ألوذ بجنبه عند الخطوب فهدَّ صرح بنائي
فإلى اللقا يوم المعاد فلا أرى الأيام تسعد قبله بلقاء

* * * * *

للخطيب الفاضل الشيخ محمد جواد قسام:

ما النيل يحكي بعدكم عبراتي كلا ولا جمر الغضا زفراتي
هيهات يركن بعدكم لسلوِّه قلبي ويطمع ناظري بسبات
زمت نياقكم بصبري إذ سرت غلساً تجوب مهامه الفلوات
ونأت هوادجها بكل خريدة مقصورة كالضوء في المشكاة
نفسي لبينكم أُهيل ودادها ذهبت عليكم بالأسى حسرات
لم يشجني ربع تباعد أهله فغدا خلاءً مقفر العرصات
لكن لذكر ابن الحسين بكربلا وكفت كوكاف السما عبراتي
لم أنس موقفه بمعترك الوغى والموت منتصب بست جهات
يسطو كما شد الهزبر مزمجراً يوم الطعان بعزمة وثبات
نثر الرؤوس من الكماة بصارم وانصاع ينظم نثرها بقناة
فرداً يصول على جموع أُميّة فيردّها مثنيّةً بشتات
ويشد مبتسماً إذا ما قطبت حذر المنية أوجه لكماة
ويكر يحكي حيدر الكرار في الكرات يوم الروع والحملات

من دوحة العليا نمته معدُّها للمكرمات وشنة الغارات
تحكي شمائله شمائل أحمد ببليغ تبيان وغرِّ صفات
لهفي عليه البدر عجل خسفه ومحت سناه يد الحمام العاتي
لهفي عليه قضى بشرخ شبابه بدم الوريد مخضب الوفرات
لم أنسَ مذ ألفاه سبط محمد فوق الصعيد معفر الوجنات
ناداه يا كبدي على الدنيا العفا وعليه أجرى سافح العبرات
رنقت عيشي يا بنيّ فإنني من بعد فقدك قد فقدت حياتي
ذهبت بك الأُخرى فحزت نعيمها وسقاك جدك أعذب الكاسات
يهنيك صرت إلى الجنان منعماً وبقى أبوك يكابد النكبات

* * * * *

لفضيلة الأستاذ الشيخ علي الصغير :

سكب الفجر في كؤوس الندامى سحره فانتشى الفؤاد هياما
ودعاه الهوى فلبى ولولا روعة الحسن مااستفز غراما
وسرت نسمة فكانت لقلبي في التصابي برداً وكانت سلاما
فتحسست أي سر مهيب هو في النفس يبعث الإلهاما
عطر الأفق بالشذا من أريج الحب لا بالشقيق أو بالخزامى
وتسامى فقيل خلق علي وأبيه الحسين لطفاً تسامى
روعة من روائع الله من هاشم يسمو مكانة ومقاما
في جلال النبي في عفة الزهراء في هيبة الوصي احتشاما
صيغ من معدن النبوة لطفاً وشأى في ذرى الحسين احتراما
يا شباب الشهيد طبت شباباً كيف لاقيت في المنون الحساما
أترى الطف روضة فدماه أنبتت في ثرى الطفوف البشاما
فازدهت بالشقيق خداه وبالآس عذاراً وبالأقاح ابتساما
أي عطر نفح النبوة فيه حسد الورد نشره النماما

وشباب كأنه بسمة الأزهار إما تفتح الأكماما
أو هو الفجر باسماً فتجلى شفق الأفق بالدما بساما
يا شهيداً قد أذهل القوم فكراً عندما أقعد الوغى وأقاما
فيظنون حيدراً عاد حياً فيرون الفرار عنه لزاما
جده المرتضى أبوه حسين وكذا الليث ينجب الضرغاما
وله منهما أجلّ صفات يخضع الدهر حولها إعظاما
عجباً وهو ظام من سماء الحرب يستنزل الدما لا الغماما
يحسب السيف فيً العواتق ماءً ويرى الهام في الفوارس جاما
وتعاطى فكان كأس المنايا خمره والسيوف فيه ندامى
وعجيباً تدنو إليه المنايا ولقد كان للحِمام الحِماما

*****

للعلامة السيد مهدي البحراني قدس الله سره[١] من قصيدة في شهداء الطف:

أيا حرب بالله لا تصرعي فتىً ألف البيض يوم الصيال
دعي لي ابن ليلى فلا تصدعي به قلب ليلى بطعن العوالي
فلا تصدعي قلب أم الوحيد بواحدها واحداً في المعالي
بغضّ الشبيبة لا ترجعي بخائبة الكف والقلب صالي
أُسائل عن واحدي حيث ما تغيب تحت القنا والصقال
وما ضيعت مثله العاديات بمضماره حيث رش النبال
وإن حجبته عن العين إذ عليه النصال بإثر النصال

---

(١) ولد السيد رحمه الله في رجب سنة ١٣٠٠ وتوفي بالنجف في ٦ ذي الحجة سنة ١٣٤٣ هجـ، تخرج في الفقه والأصول على علماء أعلام منهم المحقق الشيخ ملا كاظم الخراساني والفقيه السيد محمد كاظم اليزدي وله الرواية عن جماعة كثيرة منهم آية الله الشيخ محمد طه نجف والحجة السيد عدنان، وخلف آثاراً جليلة في الفقه والأصول والكلام والحديث.

ولـكـنـه ضـاع نـشـر الأريـج كـما ضـاع فينا أريج الغوالي
بـنـيّ أبـيـت سـوى الـقـاصـرات وخلفت عندي سمر العوالي
ورحـت لـحـوض أبـيـك الـنـبـي وسـارعـت بـعـد الـظـمـا لـلـزلال
بـنـي اقـتـطـعـتـك مـن مـهـجـتـي أتـقـطـع عـنـي جـمـيـل الـوصـال
بـنـي عـراك خـسـوف الـردى وشأن الخسوف قبيل الكمال
بـنـي حـرام عـلـي الـرقـاد وأنـت مـكـب بـوجـه الـرمـال
أبعد ابن ليلى تطيب الليالي وآمـل أمـراً عـزيـز الـمـنـال
أبعد ابن ليلى تطيب الحياة وأرغب في العيش ما بين آلي

*****

للخطيب الشيخ قاسم الملا الحلي :

وحق الهوى العذري لست أرى عذرا ... لصبٍّ يواتى بَعد بُعدكم الصبرا
ولست أرى يحلو لعيني منامها ... وما عاشق من لم تكن عينه سهرا
يقولون لي بالعرف صابوا هواهم ... وإني أرى صبري بشرع الهوى نكرا
وبي من هوى الغادين عن أبرق الحمى ... رسيس غرام للجوانح قد أورى
أجيرتنا بالجزع جار غرامكم ... وجرعتموني في يوم ودعتمو مرا
سلوا الليل عني هل أذوق رقاده ... وهل أنا قد سامرت إلا به الزهرا
ولم يشجني ركب أجدَّ مسيره ... كركب حسين حين جدَّ به المسرى
سروا عن مغاني طيبة وحدت بهم ... نجائب تسري في مناسمها القفرا
إلى أن أناخوا بالطفوف قلاصهم ... وحادي نواهم بعد شنشنة قرا
فما عشقوا فيها سوى البيض رونقاً ... ولا سامروا إلا المثقفة السمرا
فوا ثكل خير الرسل أكرم فتية ... بهم عرقت للفخر فاطمة الزهرا
فيا راكب الوجناء تسبق طرفه ... إذا ماقلت أخفافها السهل والوعرا
تجوب الفيافي لا تمل من السرى ... إذا غرد الحادي وحنت إلى المسرى

أقم صدرها إن جئت أكناف طيبة ومن طيبها تستنشق الند والعطرا
هنالك فاخضع واخلع النعل والتثم ثراها وقل والعين باكية عبرى
شبيهك في الأخلاق والخلق أُودعت محاسنه في كربلا بثرى الغبرى
ذوى غصنه من بعد ما كان يانعاً وبالرغم ريح الحتف تقصمه قسرا
فيا ليل طُلْ حزناً فليلى بنوحها وأجفانها إنْ جنّها ليلها سهرا
تعطِ الحشا لا البُرد حزناً على ابنها وأدمت أديم الخد من خدشها الظفرا
فما أم خشف أدركته على ظماً وخوف حبالات نأت في الفلا ذعرا
بأوجد منها حين للسبط عاينت ومنه صقيل الوجه حزناً قد اصفرا
أعيدي دعاء الأم يا ليل إنني أرى ابنك في أعداه يغتنم النصرا
فأرخت على الوجه المصون أثيثها وطرف أبيه السبط من طرفها أجرا
ولم أنسه لما عليه قد انحنى وأحشاؤه حزناً مسعرةً حرّا
فنادى على الدنيا العفا ونداؤه عليه عظيم شجوه يصدع الصخرا
بنيّ جرحت القلب مني فلم أجد لجرحك طول الدهر غوراً ولا سبرا
بنيّ تركت القلب غرقى بدمعها وجذوة قلبي حرها يضرم الجمرا

للطبيب الفاضل ميرزا محمد الخليلي النجفي:

كلما زدت في الحبيب ملاما زدت فيه محبة وغراما
أيها العاذل المبغض مهلاً لو عرفت الهوى تركت الملاما
كيف أسلو فراق ظبي إذا ما ذكرته العذال زدت هياما
أغيد يسحر العقول بطرف تخذت منه للصبابة جاما
مدَّ أشراك صدغه وبقوس الزج قد صوب الجفون سهاما
فغدت مهجتي أسيرة وجد وغدا القلب في هواه غلاما
فأنا في يديه عبد مطيع شأن من بات في الهوى مستهاما
عز نداً في الحسن بين الحسان الغيد حتى اغتدى لديهم إماما
جلَّ عن أن يقاس بالبدر وجهاً وبمياسة الغصون قواما
وبعين المها احوراراً وبالورد خدوداً وبالعيون حساما
فهو ملك يعنو له كل ملك وعظيم في زهوه قد تسامى
وجميل أعيذه حين يبدو بشبيه النبي عن أن يضاما
شبل ليث الطفوف من سنّ فيها لكفاح الصيد الكماة نظاما

حين وافى وقلبه يتلظى عطشاً والكماة منه تحامى
يطلب الإذن من أبيه لحرب أبصرت منه فارساً مقداما
أغلب تحجم الفوارس منه كلما ازداد في الوغى إقداما
جرد العزم وهو يزأر ليثاً بين جمع يراهم أنعاما
فلَّ جيش العدا بسيف كميٍّ حينما شد فيهم ضرغاما
قلب القلب فوق جنحيه لما ألهب الحرب بالحسام ضراما
سوَّد الجو بالقتام ولكن برق صمصامه يشقّ القتاما
غرس الطف بالجماجم والري دماها واللقح كان الحماما
وانبرى حاصداً بعضب ولولا سيف عبديها لامست رماما
فهوى فوق مهره ظن أن المهر ينجيه إذ يؤم الخياما
وجرى الطرف قاصداً حومة الهيجاء حتى توسط الأقواما
فتلقته بالسيوف انتهاشاً قوم سوء لم ترعَ منه ذماما
وعلا صوته عليك سلام الله يا والدي بلغت المراما
أسرع السبط نحوه ونجيع القلب يجري فوق الخدود انسجاما
صارخاً أي بنيَّ غالك خسف للمنايا وما بلغت التماما
كنت أرجوك عدة لي وذخراً لمشيبي إن حادث الدهر ضاما
كنت روحي وهل عن الروح أسلو فعجيب أن لا أُلاقي الحماما
كنت إنسان ناظري كيف أرنو فأرى للعدا عليك ازدحاما
لا رعى الله أُمة من ضلال ما رعت فيك للنبي مقاما
لا ولا لاحظت شبيه رسول الله خُلقاً وخِلقة وكلاما

وزعت جسمك المقطع غدراً حين أضحت في غيّها تتعامى
فغدت تستشيط ليلى ولكن قلبها قبلها استشاط ضراما
وغدا ذائب الفؤاد نجيعاً من حشاها الدامي يسحّ انسجاما

*****

للسيد مهدي الأعرجي رَحِمَهُ اللَّهُ:

على الضيم كم تغضي الجفون أُباته ... ويغزى الحمى مها وترضى حماته
عجبت لفهر كيف يهدأ حيها ... وقد قتلت أشرافه وسراته
وتدرك من فهر أُميُّ تراتها ... وفهر لديهم قد أُضيعت تراته
أتغضي لويٌّ والحسين زعيمها ... به شفت الحقد القديم عداته
ففتيانه هاتيك صرعى على الثرى ... وتلك على عجف المطا فتياته
عجبت له يقضي على النهر ظامياً ... وقد كان مَهراً للبتول فُراته
ومن حوله ثاوٍ شبيه محمد ... ومن دمه قد خضبت وفراته
فتى جمعت فيه شمائل أحمد ... وبأس عليٍّ المرتضى وثباته
فوالله لا أنساه يوم الوغى وقد ... حكت حملات المرتضى حملاته
تخال إذا ما شدَّ ليثاً غضنفراً ... شديد القوى مرهوبة سطواته
فتىً لا يهاب الموت في حومة الوغى ... فسيّان فيها موته وحياته
فينهل من ماء الرقاب حسامه ... وترعى سويداء القلوب قناته
فلو شاء أفناهم ولكن يكفّه ... ويثنيه عنهم حلمه وأناته

يكر عليهم كرة الليث والظما بأحشائه قد أُوقدت جذواته
وجاء أباه السبط يشكو له الظما وقد خفيت مما به كلماته
فلما رأى ما نابه السبط لم تزل تصعَّد من أحشائه زفراته
فلهفي له ما كان أقصر عمره ثماناً وعشراً أُحصيت سنواته
ولهفي له غض الشبيبة قد قضى وعارضه ما دب فيه نباته
فوالله لا أنسى الحسين مذ انحنى عليه وسالت بالدما عبراته
وحين رأى ذاك المحيّا مرمّلاً بقاني الدِّما قد ضرِّجت وجناته
فنادى ودمع العين من شدة الجوى يسحّ كما سحّ الحيا قطراته
بني جرحت القلب مني والحشا بفقدك جرحاً منه تعيى أُساته
فيا لك غصناً قد عراك الذبول في الـ أوان الذي تجنى به ثمراته

* * * * *

للعلامة الجليل الشيخ جعفر النقدي:

لتبكِ بقاني الدمع بين الملاحم ... لشبه رسول الله أسياف هاشم
وتلطم لكن في رؤوس أمية ... عليه دوام الدهر بيض الصوارم
فقد وزعت أشلاءه في جموعهم ... وما قرعت حرب له سن نادم
صبيحة أضحى السبط لم ير ناصراً ... يدافع عنه غير رمح وصارم
هناك علي الأكبر الطهر للقا ... تحلى بعضب للأباطل حاسم
وحزم يزيل الراسيات وعزمة ... أحدّ وأمضى من حدود الصوارم
ووجه كبدر التم يشرق نوره ... ولا ليل غير العثير المتراكم
سطا كالعفرنى في جيوش أمية ... ففرت على وجه الثرى كالبهائم
كأن الظبا البتار ظامٍ بكفه ... ولا ورد إلا في الكُلى والجماجم
فماجت بنو سفيان تحت حسامه ... وقد بلغت أرواحها للحلاقم
فمن قائل هذا هو الندب حيدر ... ومن قائل أحمد ذو المكارم
وزاغت به أبصار أعداه مذ رأت ... له سطوات أقعدت كل قائم
فما أحد منهم تلقى حسامه ... هنالك غير الرجس بكر بن غانم

فبادره شبل الحسين بضربة ... لها خضعت شم الجبال العظائم
فأودى إلى الغبراء من فوق سرجه ... صريعاً بأنف منه في الأرض راغم
وسارعت الأبطال رعباً لوجهها ... على حذر في خطبها المتفاقم
فكرَّ بماضي العزم شبه محمد ... عليهم كمثل الصقر خلف الحمائم
بدت آية الفتح المبين لسيفه ... وللنصر بانت واضحات العلائم
فحال القضا والسيف أودى لرأسه ... فخرَّ على الغبراء بين الملاحم
ودار عليه القوم من كل جانب ... ببيض مواضيها وسمر اللهاذم
فحيّا أباه بالسلام ورزؤه ... يموج كموج العيلم المتلاطم
ولبّاه سبط المصطفى بحشاشة ... بها ظفرت أيدي الجوى والمآثم
وشقّ صفوف القوم بالسيف وانحنى ... عليه بقلب في الصبابة هائم
وأحنى عليه واضعاً حر خده ... على خده والدمع شبه الغمائم
ونادى على الأيام من بعدك العفا ... ولا زهت الدنيا بمقلة شائم
بنيَّ فدتك النفس نهضاً فإن بي ... أحاط العدى من كل رجس وظالم
لقد فتت الأحشاء مني وأُوهنت ... قواي وكلّت يا بنيّ عزائمي
فلهفي على ذاك المحيّا معفّراً ... ولهفي على تلك الخدود النواعم
ولهفي على ذاك القوام مجدّلاً ... ولهفي على تلك الثغور البواسم

المحتويات

المقدّمة ١١
ليلى أم الأكبر ١٣
ولادة الأكبر ١٩
كنية الأكبر ٢١
لقب الأكبر ٢٥
ملحوظة ٣٢

صفات الأكبر

تمهيد ٤٣
الحلم ٤٥
التواضع ٤٩
الكرم ٥١
الشجاعة ٥٣
البلاغة ٥٥

الأكبر يشبه الرسول ٦٣
فضله ٦٧

الأكبر مع الحسين عليه السلام

تمهيد ٨١
الأكبر في الطريق ٩٧
الأكبر إلى المشرعة ١٠١
الأكبر في ليلة عاشوراء ١٠٥
الشهادة ١٠٩
الدم الطاهر ١٢١
الدفن ١٣١
مرقد الأكبر ١٣٩
الزيارة ١٤٥
صلاة الزيارة ١٥٧
التأبين ١٦٣